

# النسائم المدنية

في شرح القصيده الخضرية



نظمها / جابر بغدادي

إعداد وتعليق محمد أبو الفضل

## مقدمة

الحمد لله وكفى وسلاما على عباده الذين اصطفى  
وبعد :

فهذه تعليقات موجزة على متن القصيدة  
الخريرية للشيخ جابر بغدادى ، جمعتها من دروسه  
وأقواله وأقوال بعض الصالحين وأهل العلم  
الربانيين ، وهي دروس مهمة لما تحتويه من آداب  
مهمة يجب على كل مريد أن يتسلح بها حتى  
تعيّنه في سيره وترحاله لمولاه ، لأن الله شاء بدء  
السفر منذ يوم ألت بربكم ، ففي الله فساد لا  
إليه ، ولا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار  
الرحى ، يسير والمكان الذي ارتحل إليه هو نفس  
المكان الذي ارتحل منه ، ولكن ارحل من الأكوان  
إلى المكون " وأن إلى ربك المنتهى "

وهذه القصيدة تتضمن بعض آداب السفر  
والترحال وتعين السائر على تجاوز عقبات الطريق  
، أسأل الله أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه  
الكريم

الخويدم الفقير/ محمد أبو الفضل

## القصيدة الخضرية

وفي ذكر موسى الرّمز خَضْرُ إشارة  
ليقتى مرّادك في مُريدك بالرّشد  
ودون اضطبار السالكين لخضرهم  
تعرّض أهلُ الإغتراض إلى طرد  
وعند فرار السّالّكين لكهفهم  
تزاورهم شمسُ الحقيقة بالرّقد  
وفي مجلس الأستاذ قدسُ حضائر  
وكوثر ريان الفتوح مع المدد  
وراقبه بالأنقاس وأحفظ لِسره  
وخلّ كؤوسك من غرورك والعدّة  
وما لم تكن تغنيك نظرة ودنا  
قلن ينقذ العزقى النداء بلا يد  
وخرق سفين الناسكين أمانها  
وفي السّتر تاج للكرامة والرقد  
وما لم تردّ زهو الكرامة يافتى  
ستنصر حتماً بالتأييد ولا بد

وَصُحْبَةَ أَهْلِ اللَّهِ بَخَزْ كَرَائِمَ  
وَوَارِدُ يَمِّ الْعَارِفِينَ فِي سَعْدِ  
وَصُحْبَةِ أَهْلِ اللُّغُو تَهْلِكُ يَا قَتِي  
كَمَنْ عَاشَ قَرْدًا بِالْقُبُورِ بَلَا وَقَدْ  
وَمَنْ ضَيَّعَ الْأَوْقَاتَ بِاللُّغُو لَاهِيَا  
كَمَنْ هَدَرَ الدَّرَّ النَّظِيمَ مِنَ الْعَقْدِ  
وَصِدْقُ الْعَزَائِمِ وَالْمَسِيرُ عَلَى هُدًى  
وَإِيثَارُ مَنْ تَهْوَى عَلَى النَّفْسِ وَالنَّدِ  
وَفِي الْبِرِّ سِرُّ السِّرِّ وَالْجُودُ رَقْعَةٌ  
وَبِالْبُخْلِ تَقْطَعُ مَا يَفِيضُ مِنَ الْمَدِّ  
وَخَيْرُ وَجْهِ الْبِرِّ قَصْدُ مُجَرَّدِ  
وَطَهْرُ وَتَسْلِيمُ وَجُودٍ مَعَ الرُّشْدِ  
وَمِنْ بَعْدِ مَخُوكَ يَا مُرِيدُ بِصَخُوفِ  
تَلَطَّفْ لِحَفْعِ الزَّادِ وَاهْرَعْ بِالْجَدِّ  
فَمَا لَمْ تَخْلُ النَّفْسَ وَتَسِيرَ قَانِيَا  
فَمَا زِدْتَ فِي طَلَبِ الْقَرِيبِ سِوَى بُغْدِ  
وَسِرُّ بَقَاءِ الْعَارِفِينَ قَنَاهُمْ  
بِمَشْهَدِ تَقْرِيدِ الْجَالَةِ إِلَى الْأَبَدِ  
وَمَا الْفَقْدُ إِلَّا الْوَجْدُ فَاقْهَمْ إِشَارَتِي

وَبِالنَّقِيِّ إِثْبَاتِ الشُّهُودِ بِلَا نِدْ  
 كَرَامَةِ أَهْلِ الْحَيِّ صَوْنُ غُهُودِهِمْ  
 وَيَسْتَوِي الرِّضْوَانُ فِي الْقَدْرِ وَالْوَجْدِ  
 وَفِي الْمَنْعِ يَنْبَسُطُ الْعَطَاءُ بِحِكْمَةٍ  
 وَقَتْلُ الْغُلَامِ هُوَ الْإِشَارَةُ بِالْوَرْدِ  
 وَتَبْلُغُ بِالرِّضْوَانِ أُنْبُلُغَ غَايَةٍ  
 وَبِالسَّخَطِ إِخْبَاطُ لِعَهْدِكَ وَالْوَرْدِ  
 فَعَايَةِ أَهْلِ الْوَدِّ قَرْقَانُ مَشْهَدِ  
 لِفَرْدٍ تَقْدَسَ بِالْكَمَالِ إِلَى الْأَبَدِ  
 وَرَقْعُ الْجِدَارِ هُوَ الْمَرْوَعَةُ يَا فَتَى  
 وَصَنَعُ الْمَكَارِمِ فِي مُحَبِّكَ وَالنِّدِ  
 خَذَ الْعَقَوَ فِي حُلِّ السَّمَاحَةِ يَا فَتَى  
 تَقْتَحِ لَكَ الْحَضْرَاتِ فَتَحًا بِلَا رَدِ  
 وَفِي كَلْبِ أَهْلِ الْكَهْفِ سِرُّ بِشَارَةِ  
 بَدَأَنِ الْإِسَاءَةِ لَأَ تَضُرُّ مَعَ الْوَدِّ  
 وَلَا يَكْثُرُ الشُّكْوَى مَعَ الْحُبِّ صَادِقُ  
 وَلَأَ يَقْهَرُ الْوَسْوَاسُ صَدْرًا بِهِ وَدِ  
 وَمَا لَمْ يَكُنْ مَا تَدْعِيهِ حَقِيقَةً  
 يُطَاقُ مَا تَطْوِيهِ مِتَ عَلَى ضِدِّ

تَنْزَهُ عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ تَوَرُّعًا  
وَحَلَّ سَبِيلَ الْمَوْبِقَاتِ إِلَى الْأَبَدِ  
فَلَيْسَ كَرِيمَ الذِّكْرِ مَا زَادَ وَرْذُهُ  
وَلَكِنْ وَرْدَ الْعَارِفِينَ هُوَ الْوَرْدُ  
وَمَا دُمْتَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْوَدِّ قَائِمًا  
فَحَبْلُكَ مَوْصُولٌ وَدَيْثُكَ فِي رَشَدٍ  
وَمَا دُمْتَ تَتَّخِذُ الطَّرِيقَ وَسِيلَةً  
لِتَجْمَعَ مَالُ النَّاسِ أَنْبَشِرَ بِالصَّدِّ  
وَمَنْ رَامَ أَجَرَ الْهَرَمِ وَلَمْ يَرَى  
فِعَالَ مُرِيدِ ضَيْعِ الْوَرْدِ بِالْعَدِّ  
فَخَذَ سُلْمَ التَّسْلِيمِ مَغْرَاجُ وَصْلِنَا  
وَسَبَّحْ لِرَبِّكَ بِالْوَدَادِ مَعَ الزُّهْدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

( 1 )

وفي ذكر موسى الرّمز خَضْرُ إشارة  
ليَقْنَى مُرَادُكَ فِي مُرِيدِكَ بِالرُّشْدِ

يعلمنا شيخنا في هذه القصيدة وفي هذا البيت  
حال المريد أو السالك ورمز له هنا بموسى الرمز ،  
مع شيخه ورمز له بالخضر ، وفي ذلك قال بن  
عجيبه رحمه الله في تفسيره : - أخذ الصوفية  
رضي الله عنهم آداب المريد مع الشيخ من قضية  
موسى مع الخضر عليهما السلام ، فطريقتهما  
مبنية على السكوت والتسليم.

- ثم بين الشيخ الحكمة من اتباع المريد للشيخ ،  
فهو عين ما قاله موسى للخضر { هل أتبعك على  
أن تعلمن مما علمت رشداً } ، أي استأذن موسى

وهو النبي عليه السلام المرسل من قبل الحق ،  
الخضر وهو عبد من عباد الله لكي يصطحبه  
ليتعلم منه ملاطفة وأدباً وتعلماً مما علمه الله من  
العلم الذي يدل على الرشد وإصابة الصواب لعلي  
أرشد به في ديني.

— ويفهم من هذا أن المريد قد يكون أعلم من  
الشيخ في علم الشريعة أو في علوم أخرى ، لكنه  
يحتاج إلى الشيخ ليعلمه من علومه التي توصله  
لمولاه ، كحال موسى النبي عليه السلام مع  
الخضر ، إذ لا يتنافى كون موسى عليه السلام  
وهو نبي ذا شريعة أن يتعلم من غيره من أسرار  
العلوم الخفية إذ لا نهاية لعلم الله تعالى ، وفي  
صحيح البخاري ( قال له الخضر : يا موسى إنني  
على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت  
على علم من علم الله علمكه الله لا أعلم )

— وأكد على ذلك شيخنا فقال في حكمه : طريقنا  
هذا خضري لا يقبل جدلاً ، فعهدده (ستجدني إن  
شاء الله صابراً) ، وشرطه (ولا أعصي لك أمراً)  
، وعلمه ( أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً )



، وحكمته ( وما فعلته عن أمري )  
كما قال السهروردي في كتابه آداب المريدين :  
أول ما يلزم المريد — بعد الانتباه من غفلته — أن  
يقصد إلى شيخ من أهل زمانه ، مؤتمن على دينه  
، معروف بالنصح والأمانة ، عارف بالطريق ،  
فيسلم نفسه لخدمته ويعتقد ترك مخالفته ويكون  
الصدق حالته

كما بينه لنا شيخنا في بعض حكمه فقال ( خضر  
الحقيقة عبد من عبادنا ، ووارث مجمع البحرين  
شريعة وحقيقة هو عبدنا ) 0 ومن لم يكن له شيخ  
فهو المحروم كما قال الشيخ في الحكم (   
المحروم من انقضت أيامه ولم يصبر حتى يكشف  
له خضره عن لثامه )

— لذلك قال الإمام الفخر الرازي في تفسير قوله  
تعالى { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } وهذا يدل  
على أن المريد لا سبيل له إلى الوصول إلى  
مقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ  
يهديه إلى سواء السبيل ويجنبه عن مواقع  
الأغاليط والأضاليل، وذلك لأن النقص غالب على

أكثر الخلق، وعقولهم غير وافية بإدراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط، فلا بدّ من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل فحينئذ يصل إلى مدارج السعادات ومعارج الكمالات

وقال بن عجيبة في تفسيرها: الطريق المستقيم التي أمرنا الحق بطلبها هي: طريق الوصول إلى الحضرة، التي هي العلم بالله على نعت الشهود والعيان، وهو مقام التوحيد الخاص، الذي هو أعلى درجات أهل التوحيد، وليس فوقه إلا مقام توحيد الأنبياء والرسل، ولا بد فيه من تربية على يد شيخ كامل عارف بطريق السير، قد سلك المقامات ذوقاً وكشفاً، وحاز مقام الفناء والبقاء، وجمع بين الجذب والسلوك لأن الطريق عويص، قليل خطأه، كثير قطاعه، وشيطان هذا الطريق فقيه بمقاماته ونوازله، فلا بد فيه من دليل، وإلا ضلّ سالكها عن سواء السبيل، وإلا هذا المعنى أشار ابن البنا، حيث قال:

وإِنَّمَا الْقَوْمُ مُسَافِرُونَ لِحَضْرَةِ الْحَقِّ

وَضَاعَثُونَ فَاقْتَرُوا فِيهِ إِلَى دَلِيلِ نَبِيِّ بَصَرَ  
بِالسَّيْرِ وَالْمَقِيلِ قَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ثُمَّ عَادَ  
لِيُخَيِّرَ الْقَوْمَ بِمَا اسْتَقَادَ

وقال في لطائف المنن: من لم يكن له أستاذ يصله  
بسلسلة الأتباع، ويكشف له عن قلبه القناع، فهو  
في هذا الشأن لقيط لا أب له، دعي لا تسب له

و يقول أيضا ابن عطاء الله السكندري رضي الله  
عنه: وينبغي لمن عزم على الاسترشاد، وسلوك  
طريق الرشاد ، أن يبحث عن شيخ من أهل  
التحقيق، سالك للطريق ، تارك لهواه، راسخ القدم  
في خدمة مولاه فإذا وجده فليمتثل ما أمر،  
وليئنته عما نهى عنه وزجر

ويقول الإمام الشعراني بعد أن بين أن من سلك  
من غير شيخ تاه: "من قال إن طريق القوم يوصل  
إليه بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها، لما  
احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ  
عز الدين بن عبد السلام أخذ أدبهما عن الشيخ، مع  
أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم (كل  
من قال: إن ثم طريقة للعلم غير ما بأيدينا فقد

افترى على الله عز وجل) فلما دخلا طريق القوم  
كانا يقولان: قد ضيعنا عمرنا في البطالة والحجاب  
واثبتا طريق القوم ومدحاهما "

وكان سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام  
يقول بعد ذلك: "ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد  
اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه  
الله" ثم يتابع الإمام الشعرائي قائلا: "فإذا كان  
هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة  
علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب  
أولى

— ثم يبين لنا شيخنا في هذا البيت أن الحكمة  
من قصة الخضر مع سيدنا موسى عليهما السلام  
هي أن لا تكون للعبد السالك ثمة إرادة , فأرادته  
هي عين إرادة الله , كما قال سيدي أبا اليزيد  
البسطامي : أريد أن لا أريد  
لذلك قال الشيخ في ياقوته الوصايا :  
أنت المراد كذا المرید لوجهنا

فكما نريد تكن بحق عبدنا  
لذلك قال بعض العارفين : الرجل الصادق هو من

لم تكن له إرادة ، تكون إرادته وتمنيه وشهوته في محبة ربه ، ولا تتقدم له إرادة في شئ أبداً حتى يعلم إرادة الله عز وجل ومحبته فيه وذلك لأن طريقه الله ومراده الله ، لأن الله هو الحق وكل شئ سواه باطل ، فالله قاصده وغايته ومراده { فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال } ولذلك قال الشيخ:

تبتل للودود وكن مريده

ولا تطلب سواه تنل مزيده

وكن فرداً له بين عبيده

يكن فرداً وأنت به شهيد

كما قال الشيخ في إحدى تسبيحاته :

مرادي ولست أروم غير وداده

ولوجهه وردي وكل شهادتي

(2)

وَذُونِ اصْطِبَارِ السَّالِكِينَ لَخَضْرِهِمْ  
تَعَرَّضَ أَهْلُ الْإِغْتِرَاضِ إِلَى طَرْدِ

يوضح لنا الشيخ في هذا البيت أدبا عظيما يتعين على المرید أن يلتزمه أشد الإلتزام ، وهو متابعة الشيخ والوقوف عند أمره ونهيه ، والاصطبار معه على مشاق الطريق والسير . وقد جاء الشيخ بلفظ الاصطبار ليدل على شيئين : أولهما أن الصبر مع الشيخ ليس سهلا " ميسورا " ، فعبر بلفظ الاصطبار مبالغة في لزوم الصبر . وثانيهما أن الصبر مع الشيخ يتطلب المداومة ، ولهذا قالوا دوام المجاهدات تورث المشاهدات .

والمعنى أي اصبر لـمـشاق صحبة الشيخ وما يصاحب ذلك من شدائد .

قال القشيري رحمه الله: الاصطبار غاية الصبر" أيها المرید إن مصاحبتك لشيخك تورّد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا تعترض على أحواله حتى يأتيك بيانه وإلا تعرضت للطرد من الطريق ، لأن عدم صبرك لشيخك واعتراضك عليه هو من سوء الأدب ، ومن أساء الأدب وهو على البساط رد إلى سياسة الدواب"

كما ينبغي للمرید الصبر على مواقف الشيخ

التربوية كجفوته وإعراضه التي يقصد بها  
تخليص المريـد من رعوناته النفسية وأمراضه  
القلبية أو لحكمة لا يعرفها المريـد. ولبيان ذلك قيل  
أن بعض أصحاب الإمام الجنيد سأل الإمام مسألة  
فأجابه الجنيد ، فعارضه في ذلك ! فقال له الجنيد  
: فإن لم تؤمنة ا لي فاعتزلون.

وقال سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني الحسني  
قدس سره : في كتابه الغنية ص164 في باب  
فيما يجب على المبتدئ في هذه الطريقة  
فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر  
وترك الاعتراض عليه في الباطن فصاحب  
العصيان بظاهره تارك لأدبه , وصاحب الاعتراض  
بسرّه متعرض لعطبه , بل عليه أن يكون خصماً  
على نفسه لشيخه أبداً ويكف نفسه ويزجرها عن  
مخالفته ظاهراً وباطناً ,

لذلك وصانا شيخنا في الياقوتة فقال :  
اصبر لديه ووده بودانا

سلم إليه وصن عهودك محسناً  
— لذلك قالوا : أنه على المريـد أن يوافق شيخه

أمرًا ونهيًا كموافقة المريض لطبيبهِ ، فإن لم يفعل فهو دليل على عدم صدقه ، ومن هنا كان سيدنا أبوبكر رضي الله عنه أسبق الناس إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته" (كتاب إيقاظ الهمم لابن عجيبة)

واعلم أخي أنه على قدر صدقك مع الشيخ وعلى قدر متابعتك له وصبرك معه على قدر ما تكون سرعة سيرك ووصولك لمولاك ، وإلا حتما سيفعل معك الشيخ كما فعل الخضر مع سيدنا موسى عليهما السلام حينما قال له حينما لم يتبع أمره ويصبر معه ( هذا فراق بيني وبينك ) ، وقد بين الخضر لموسى عليهما السلام حقيقة ما فعل فقال ( وما فعلته عن أمري ) فعلى التحقيق الفاعل هو الله ، ولذلك قال الشيخ في الحكم ( إذا لم تكن أهلا " لشهود عظمة " وما فعلته عن أمري " كنت أهلا " لحلول ظلمة " هذا فراق بيني وبينك " وقال بن عجيبة رحمه الله في تفسيره لقصة الخضر مع موسى عليها السلام: الاعتراض على المشايخ موجب للبُعد عنهم، والبُعد عنهم موجب



للُبُعد عن الله، فلا وصول إلى الله إلا بالوصول إليهم مع التعظيم والاحترام " سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه " كما في الحكم. فالواجب على المريد، إذا كان بين يدي الشيخ، السكوت والتسليم والاحترام والتعظيم، إلا أن يأمره بالكلام، فيتكلم بآداب ووقار وخفض صوت، فإذا رأى منه شيئاً يخالف ظاهر الشريعة فليسلم له، ويطلب تأويله، فإن الشريعة واسعة، لها ظاهر وباطن، فلعله اطلع على ما لم يفهمه المريد.

( 3 )

وَعِنْدَ فِرَارِ السَّالِكِينَ لِكَهْفِهِمْ  
تَزَاوَرُهُمْ شَفَسُ الْحَقِيقَةِ بِالرَّقْدِ

وسألت شيخي عن ما يقصده بالكهف فقال لي هو  
الشيخ أو هو الحضرة في مفهومها الواسع ، أي  
أن السالك عليه أن يفر من نفسه ومن كل  
الشواغل إلى شيخه أو إلى الحضرة ويلازم ذلك ،  
وثمرة ذلك تشرق عليه شمس المعرفة الربانية  
والمواهب القدسية.

وهو كمثل فعل أهل الكهف الذين فروا من عدوهم

وانقطعوا عن الشواغل واعتصموا بكهفهم ،  
فعصمهم الله من عدوهم وأفاض عليهم من لطائف  
رحمته وأنوار معرفته.

وفي تفسير ابن عجيبة رحمه الله : للصوفية تشبه  
قوي بأهل الكهف في الانقطاع إلى الله والتجرد  
عن كل ما سواه والانحياش إلى الله والفرار عن  
كل ما يشغل عن الله ، والتماس الرحمة الخاصة  
من الله والتهيئة لكل رشد وصواب.

ولذلك قال الله لنبيه عن أصحاب الكهف { لو  
اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا<sup>1</sup> ولملئت منهم رعبا<sup>2</sup>  
{ ، أي أنهم لما انقطعوا عن الشواغل وفروا  
لمولاهم ، سطعت عليهم أنوار الحضرة ، وألبسوا  
ثياب الجلال ، وكذلك شأن كل سالك ومريد ، قد  
انقطع عن دنياه وهرع لمولاه واستقر في كهف  
شيخه وحضرته ، فتشرق عليه شمس المعرفة  
والأنوار ، فيهابه كل من يراه ، ويرتعب كل من  
يطلع على أحواله ، لما كساهم الله من حلل الجلال  
والجمال.

وهذه سنة أهل الصلاح والوصال ، وإلى ذلك أشار

الله فقال جل جلاله { فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا } وفي تفسيرها قال الإمام أحمد بن عمر: ففي قوله: { فَأُوُوا إِلَى الْكَهْفِ } [الكهف: 16] إشارة إلى الالتجاء بالحق والتمسك بالمشايخ المكملين يعني بهذه الطريقة { يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ } [الكهف: 16] أي: يخصصكم برحمته الخاصة المضافة إلى نفسه وهو أن يجذبهم بجذبات العناية ويدخلهم في عالم الصفات ليتخلقوا بأخلاقه ويتصفوا بصفاته كقوله تعالى { يَدْخُلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ } (الشورى: 8) وله تعالى رحمة عامة مشتركة بين المؤمن والكافر والجن والإنس والحيوان.

{ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَقًا } [الكهف: 16] أي: ييسر لكم طريق الوصول والوصال.

كما قال أيضا: يشير إلى أن التائب الصادق، والطالب المحق من اعتزل عن قومه وترك أهل صحبته، وقطع عن إخوانه شؤونه واعتقد إلا يعبد إلا الله، ولا يطلب إلا الله، ولا يحب إلا الله، يعرض

عما سوى الله، مستعيناً بالله، متوكلاً على الله،  
مُنْفَرِداً إلى الله من غير الله، ثم يَأْوي إلى كهف  
الخلوة متمسكاً بذيل إرادة شيخ كامل مكمل  
واصل موصل؛ ليربيه ويزيد في هدايته ويربط  
على قلبه بقول الولاية وقوة الرعاية.

( 4 )

وَفِي مَجْلِسِ الْأَسْتَاذِ قَدْسُ حَضَائِدِ  
وَكُونُ رِيَّانِ الْقُتُوحِ مَعَ الْمَدَدِ

يرشد الشيخ لضرورة ملازمة الشيخ وأهمية  
الح-رص على حضور مجالسه لما فيها من عظيم

النفع والفائدة وكونها تمد المريد بالأنوار والفتوح.  
وانظر إلى جمال تعبیر شيخنا في هذا البيت إذ  
يقرر بأن مجلس الشيخ وعبر هنا بالآلف واللام  
ليدل على أن المريد لا يكون له إلا شيخ واحد ،  
ثم يقرر بأن مجلس شيخك هو قدس حضائر ،  
فمجالس شيخك مقدسة لما فيها من الحضور  
والأنوار ، ثم شبهها أيضا بأنها كوثر وهو الخير  
العميم ، تشبهاً بحوض الكوثر ، إذ أن شيخك هو  
من يوصلك للشرب من نهر الكوثر ، ثم يشبهه  
بالريان إذ لو صمت عن غيره حتماً ستشرب من  
نهر الريان وتنهل حتماً من فتوحه وأمداده  
النورانية التي هي من فيض الله العلي الكبير.  
وأكد شيخنا على ذلك في بع-ض حكمه فقال (   
صحبة عارف راسخ ذو جلوة خير من قضاء العمر  
كله في خلوة... وأن صحبة ساعة ب-ين يدي  
عارف بالله خير من الكون وما حوى).  
كما شدد على هذا المعنى في الياقوتة فقال :  
في موكب الأستاذ أسرع لوصلنا  
واركب سفين الطالبين لوجهنا

— وفي كتاب جوامع آداب الصوفية للشيخ أبي عبدالرحمن السلمي ( إذا بدا لأحدهم بركة من صحبة شيخ من مشايخهم أن يلزمه ولا يفارقه بسبب من الأسباب وعلة من العلل. قال رجل من الحواريين لعيسى ابن مريم عليه السلام وقد توفي والده : أتأذن لي أن أمرّ وأدفن أبي؟ قال : دع الموتى يدفنون موتاهم واتبعني)

— وكثيرا ما نجد من بعض المريدين تحدثهم نفوسهم وتضحك عليهم شياطينهم فيتركوا مجلس الشيخ بزعم أنهم يتفرغون للذكر والأوراد وقراءة القرآن في بيوتهم ، فهؤلاء حرموا الخير الكثير وحرّموا ما في مجلس شيخهم من الإمداد والأنوار ، ولذلك قال سيدي أبو العباس المرسى : إذا صحت نسبتك من شيخك كان تأثيره بالإمداد فيك أكثر من تأثير أذكارك وجميع أعمالك)

وقال بن عجيبة رحمه الله في تفسير قول الله تعالى { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله } ولا بد في تحصيل طمأنينة الشهود من صحبة شيخ

عارف طبيب ماهر، يقدح عين البصيرة حتى  
تنفتح فما حجب الناس عن شهود الحق إلا طمسُ  
البصيرة فإذا اتصل بشيخ عارف كحل عين  
بصيرته أولاً ١ يَأْتِدُ عَلَى الْيَقِينِ، فيدرك شعاع  
نور الحق قريباً منه، ثم يكحل عينه ثانياً يَأْتِدُ  
عَيْنِ الْيَقِينِ، فيدرك عدمه لوجود الحق، أي: يغيب  
عن حسه بشهود معناه القائم به. ثم يكحل عينه  
يَأْتِدُ حَقَّ الْيَقِينِ، فيدرك وجود الحق - بلا واسطة  
قدرة وحكمة، معنى وحساً، لا يتحجب بأحدهما  
عن الآخر.



وَرَاقِبَهُ بِالْأَنْقَاسِ وَاحْفَظْ لِسْرَهُ  
وَحَلْ كُؤُوسَكَ مِنْ غُرُورِكَ وَالْعَدَّ

وفي هذا البيت يشدد الشيخ على ضرورة التزام  
المريد الأدب مع الشيخ فيرقبه ويحفظ سره ولا  
تسول له نفسه فيظن أنه أفضل من شيخه وأعلم  
منه ، فإن ذلك من الغرور المهلك.

كما قال شيخنا في الياقوتة:

وصن سره في كل حال موقنا

فالستر حال السالكين طرينا

كن حافظ الأسرار ووفي عهدنا

صن سره سترًا عليه بسرنا

بل قال الشيخ عبدالقادر الجيلاتي بأن أعز أدب  
المريد مع الشيخ هو أن لا يتمنى منزلة فوق منزلة  
شيخه وأن يحب لشيخه كل منزلة عالية وكل  
عزيز المنح والمواهب فذلك هو أدب الارادة وهو  
عزيز بين المريدين قال السري رحمه الله: "الأدب  
ترجمان العقل.

وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول: عليك ايها المريـد بالعكوف على اعتاب شيخك فانك لو علمت ما انطوت عليه الاشياخ ما برحت عن أبوابهم ولأيتيهم سعيـا على الوجه 0 وقال سيدى أبو العباس المرسى: ولقد كنت ساكنا فى مصر وكنت أحضر مجلس الشيخ أبى الحسن فى الإسكندرية كل يوم وأرجع الى مصر وكانوا يقرأون عليه كتاب ختم الـأولياء للحكيم الترمذى رحمه الله تعالى

وقال ايضا لا تطلبوا الشيخ بان تكونوا فى خاطره بل طالبوا أنفسكم ان يكون الشيخ فى خاطرکم ولذلك قال بعضهم فى آداب المريـد مع شيخه اخلص ودادك صدقا فى محبته

والزم ثرى بابـه واعكف بناديه واستغرق العمر فى آداب صحبته  
وَحَصِّلِ الدَرَ والياقوت من فيه  
وابذل قواك وبادر فى أوامره  
الى الوفاق وبالغ فى مرضيه  
واحذر بجهـدك ان تأتى ولو خطأ

مالا يحب وباعد من نواهيه  
قال القطب العارف بالله تعالى سيدى الشيخ عبد  
الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه: كان  
والدى عبد الرحمن يقول المريد الصادق اذا غاب  
عنه شخص شيخه تكاد تطلع منه روحه واذا  
تخلف فى بيته عن الخروج يرى ذلك من  
شقاوته ثم لا يزال عاكفا على عتبة باب شيخه  
مترقبا خروجه والمريد الكاذب بالعكس يفرح  
لغيبة شيخه خوفا ان يلقاه فيأمره وينهاه عن  
مخالفة هواه فغذاء المريد الصادق رؤية شيخه  
وغذاء المريد الكاذب غيبة شيخه عنه فاعلم ذلك  
وكان يقول لاتقس حالك فى أنواع العبادات  
الظاهرة على حال شيخك فان شيخك وان قلت  
أعماله الظاهرة فهو عمال بباطنه وكل يوم من  
أيام الاستاذ عند ربك كآلف سنة مما يعد  
المريدون عند ربهم... وقال أيضا: إياك أيها المريد  
الصادق ان تقف مع ظاهر شيخك بل اخرق الى  
شهود قلبه وانظر ما هو فيه فمن نظر الى ظاهر  
جسم شيخه لم يبتهج به بل لم تزده تلك الروية

الا غفلة واستغراقا فى سوء الظن وبسائر  
الاشياخ وقلة الادب معه ومعهم وما ذاك الا انه  
حجب برؤية الاحباب وربما قال اى فرق بينى  
وبين شيخى فيتلف بالكلية.

وفي قصيدة سيدي أبي مدين الغوث:  
وراقب الشيخ في أحواله فعسى

يرى عليك من استحسانه أثرا

وإياك يأخذك الغرور وتظن نفسك أفضل من  
شيخك ، أو تأتيه وأنت تتشج بثوب الولاية  
والعلم ، إذ من الأدب أن يرى المرید كلّ فضل  
أصابه من الله تعالى وكلّ خير ناله فإنه حصل له  
ببركة شيخه، فإنّ كلّ " مرید نوره مستمدّ من  
نور شيخه، وجميع ما يراه المرید من المدد فهو  
من فيض شيخه، فآنذاك لـن تأخذ منه شيئا ،  
فكيف يفاض المدد والعلم والنور على كأس مملوء  
، ولذلك قيل لأبي منصور المغربي: كم صحبت أبا  
عثمان؟ قال: خـدمته لا صحبـته فالصحبة مع  
الإخوان والأقران، ومع المشايخ الخدمة.

لـما قيل: أنه يجب عليك أن تحفظ سره وإياك أن

تفشي له سرا، بمعنى أنه يجب على المريد ص-ون سرّ  
شيخه عن كلّ شخص مطلقا، سواء كان ذلك السرّ من  
الأموال العادية أو غيرها، لأنّ الك-لام ما دام في الصّدر  
فهو سرّ، لأنّ صدور الأحرار قبور الأسرار..

وأعلم، أنّ الأستاذ قد يبلغ إلى مريده على وجه  
الإسرار أمورا كلية، لأنّ المريد عندهم بمنزلة النسخة  
للأستاذ، فيحبّ أستاذه أن يرسم فيه جميع أشكاله  
الظاهرة والباطنة، وربّما غلب الأستاذ وارد جلاليّ  
ي-ق-ه-ر حاله فيسرّ في ذلك الوقت لمريده شيئا لولا  
إظهاره لانفجر قلبه، كما وقع لمن كتم سرّه فأواه في  
الوقت قبره

( 6 )

وما لم تكن تغنيك نظرة ودرنا  
فلن ينقذ العزقى النداء بلا يد

وينبه شيخنا مجدداً على ضرورة متابعة الشيخ والتأدب معه وملازمة صحبته واليقين في حتمية الوصول على يديه ، والإكتفاء به فلا يتركه ويذهب لشيخ غيره ، إذ لا به أن يكون له شيخ واحد ، وإلا كنت كالغريق يشرف على الفرق والهلاك وينادي ويستغيث دون وجود يد تنجده وتأخذ بيده ، ولذلك قال الشيخ في بعض حكمه : يا ولدي قف على باب واحد وإن طال بك الأمد ، حتماً ستدخل ، فمن طرق كل الأبواب تحير من أي باب يدخل ، وربما لا يدخل 0

فإن وفقك الله ووجدته فانهض إليه ولازمه لينهض بك إلى مولاك ، واطرح نفسك بين يديه ، وكن بين يديه كالميت بين يدي المغسل يقلبه كيف يشاء ، فكذلك الشيخ يقلبك بين أحكام الشريعة وآداب الطريقة لتكون بين يدي ربك طاهراً ، وقلبك نقياً مصقولاً صالحاً لتتجلى عليه أنوار الحق ، إذ الشيخ هو الذي يحدد لك طريق الوصول إلى الله وكيفية السير إليه في طريق ملئ بالأعداء المتربصين من شيطان مريد ونفس أمارة بالسوء ، وهوى انفس وتسلط بعض الخلق وغير ذلك

ولذلك قال شيخنا في الحكم : من دله الله على شيخ التربية وتردد ، كان كمن وقف على البحر يشكوا العطش وينادي المدد

والشيخ المربي هو رجل سلك الطريق قبلك وعلم عقباته ومطباته ، فهو بمثابة الدليل الذي يدلك على الله وينور طريقك ويفتح بصيرتك لتعرف كيف تصل لغايتك ومستراحك في الحضرة

القدوسية ، فتصحب شيخاً ليعلمك كيف تحب  
الله وكيف تتأدب معه 0

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في كتابه مجموع  
الفتاوى : " لا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون  
عنه الإيمان والقرآن ، كما تلقى الصحابة ذلك عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاه عنهم  
التابعون ، وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين  
بإحسان ، فكما أن المرء له من يعلمه القرآن  
ونحوه فكذلك له من يعلمه الدين الظاهر والباطن  
" 0

— ويوضح لنا سيدي أحمد الرفاعي في كتابه  
البرهان المؤيد وظيفه الشيخ وأهميته فيقول : "  
صحبتنا ترياق مجرب ، البعد عنا سم قاتل 0 أي  
محبوبي : تزعم أنك اكتفيت عنا بعلمك 0 ما  
الفائدة من علم بلا عمل ، ما الفائدة من عمل بلا  
إخلاص 0 الإخلاص على حافة طريق الخطر 0  
من ينهض بك إلى العمل ، من يداويك من سم  
الرياء ، من يدلك على الطريق القويم بعد



(7)

وَحَرَقُ سَفِينِ النَّاسِكِينَ أَمَائِهَا  
وَفِي السِّتْرِ تَاجٌ لِلْكَرَامَةِ وَالرَّقْدِ

يرشدنا الشيخ في هذا البيت إلى أهمية مجاهدة  
النفس وكبح جماحها ، فيخرق عنها عوائدها التي

تحول دون وصول النور والفتح إلى قلبه من الشهوات والحجب التي تحجب المريد عن مولاه ، ولذلك نجد في الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري : كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد 0

فأمان المريد ونجاته في خرق عوائد نفسه ، أما ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة المملوكة لمساكين يعملون في البحر ليعيها ، فنجت السفينة بذلك من غضبها وسرقتها 0

ولذلك يقول ابن عجيبة رحمه الله في تفسيره :— يؤخذ من خرق السفينة أن المريد لا تفيض عليه العلوم الدنية والأسرار الربانية حتى يخرق عوائد نفسه ، ويعيب سفينة وجوده ، بتخريب ظاهره حتى لا يقبله أحد ولا يقبل عليه أحد ، فبذلك يخلوا قلبه ويستقيم على ذكر ربه ، وأما ما دام ظاهره متزيناً بلباس العوائد فلا يطمع في ورود المواهب والفوائد 0

— وذلك لأن المريد المحب للشهوات الذي هو أسير نفسه وهواه فلا يجئ منه شيء ، لأن المريد

الشهواني أبدا<sup>1</sup> يركن إلى الفاني ، والراكن إلى الفاني أبدا<sup>1</sup> لا يصل إلى الباقي ، ولذلك قيل أن الله أوحى إلى داوود عليه السلام وقال له : حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات ، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عني محجوبة<sup>0</sup>

كما يوضح لنا الشيخ في هذا البيت أنه يجب على المريد أن يستتر أحواله ولا يظهرها ، لأنه في الستر كما قال الشيخ تاج للكرامة والرغد ، لأن الستر في طريق القوم واجب ، ولذلك يقول الله حكاية عن أصحاب الكهف { إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا<sup>1</sup> } ، وفيها يقول ابن عجيبة في تفسيره : إن أطلع الله مريديه على سره المكنون من أسرار ذاته بالغوا في إخفائه حتى لا يشعروا به أحدا<sup>1</sup> من خلقه غير من هو أهل له ، لأنهم إن أظهروه لغيرهم رجموهم أو أعادوهم إلى ملتهم ، بأن يقهروهم إلى الرجوع عن طريق القوم ، ولن يفلحوا إذا أبدا<sup>1</sup> <sup>0</sup>

وأكد شيخنا على ذلك في بعض حكمه فقال : يا ولدي إن الخلق إن اطلعوا على خصوصيتك

فتنوك ، وإن حنت لهم بشريتك صدوك { إنهم إن  
يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم  
ولت تفلحوا إذا أبدأ0  
لذا يقال : من شأن الأبرار حفظ الأسرار عن  
الأغيار0

وَمَا لَمْ تَرُدْ زَهْوَ الْكَرَامَةِ يَا فَتَى  
سَتَنْصَرُّ حَتْمًا بِالتَّأْيِيدِ وَلَا بُدَّ

وهذا البيت كسابقه يحذرنا شيخنا فيه من آفة خطيرة تصيب السالك في الطريق وهي انشغاله بالكرامة وزهوها ، فالمرید الصادق إنما يسعى للإستقامة ويفر من ظهور الكرامة ، حتى لا يفتتن بها ، وحتى لا يشغله زهوها عن ربه ، وقد أكد على هذا المعنى شيخنا من قبل في بعض حكمه فقال : من تلفت لزهو أحواله فهو مخدوع ، ومن شغلته الكرامة عن الاستقامة فهو مقطوع 0

— بل إن من آداب الأولياء إذا ظهرت عليهم بعض الكرامات فإنهم يكتمونها وينظرون إليها بعين الاستدراج ، وفي ذلك قال سيدي أبا علي الروذباري: كما فرض الله تعالى على الأنبياء إظهار الآيات والمعجزات ، كذلك فرض على الأولياء كتمانها لئلا يفتن بها الخلق 0 بل إن بعضهم قال : ألطف ما يخدع به الأولياء الكرامات وإظهار

الآيات عليهم 0

لذلك وصف شيخنا في كتابه كنوز الإشارات حال العارف مع الكرامة فقال: العارف حاله عند الكرامة الحياء ، والعارف حاله مع الكرامة الكبر والعلاء ، العارف فان عن شهود أفعاله ، والعارف مفتون بأفعاله وأقواله 0

— والعبد المؤمن المستقيم لا يسعى إلى الكرامة ولا يطلبها ، ولذلك قال أبو علي الجرجاني : كن طالب الإستقامة لا طالب الكرامة ، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة والله يطلب منك الإستقامة ، فالكرامة الكبرى هي الإستقامة في خدمة الخالق بإظهار الخوارق 0

ولذلك لما قيل للشيخ أبي سعيد : إن فلانا يمشي على الماء قال : إن السمك والضفدع كذلك ، فقيل له : إن فلانا يطير في الهواء فقال : إن الطيور كذلك ، فقيل له : فلانا يصل إلى الشرق والغرب في آن واح ، قال : إن إبليس كذلك ، فقيل له : فما الكمال عندك ؟ قال : أن تكون في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق 0

ولذلك نبهنا شيخنا إلى عدم التلفت للكرامات التي  
يظهرها الله على يديك لئلا تفتتن بها ولئلا يفتن  
بها غيرك ولئلا تشغلك عن الاستقامة في طريق  
الحق ، وقد تظن أنها من فيض عملك وطاعتك ،  
ولذلك قال شيخنا في بعض حكمه : كفى بالمرء  
جهلاً أن تجرى الكرامة على يديه ، فتحجبه  
عن من بسط المواهب عليه 0  
كما قال شيخنا في الياقوتة:  
من تاه بالكرامات ضل طريقنا  
ومن اعتاه الزهو ليس مريدنا

( 9 )

وَصُحْبَةَ أَهْلِ اللَّهِ بَحْرُ كَرَامٍ  
وَوَارِدُ يَمِّ الْعَارَفِينَ فِي سَعْدِ

من دعائم الطريق أن تصحب الصالحين وأهل الله  
في سيرك لمولائك ، لأنك عند رؤياهم تذكر الله ،  
وينهضك حاله ، ويرفع ما بينك وبين ربك من  
الحجب ويقول لك ها أنت وربك 0  
وما نال الصحابة ما نالوا من الشرف والسؤدد إلا  
بمصاحبتهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، وما ذلك إلا لأن رسول الله كان يطيب  
قلوبهم ويزكي نفوسهم بحاله { هو الذي بعث في  
الأميين رسولا } منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم  
ويعلمهم الكتاب والحكمة { ، ثم إن التابعين ما



نالوا أيضا ما نالوه من شرف إلا باجتماعهم  
بأصحاب رسول الله واجتماعهم بهم ، وهو ما  
ندبنا إليه مولانا فقال { يا أيها الذين آمنوا اتقوا  
الله وكونوا مع الصادقين } ، {واتبع سبيل من  
أناب إلي}،

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:  
قيل لرسول الله أي جلسائنا خير؟ قال: ( من  
ذكركم بالله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ،  
وذكركم في الآخرة عمله ) 0

واصحب رجال الله يا عبد الله وإن لم تعمل  
بعملهم ، فقد سأل أبا ذر رضي الله عنه رسول الله  
وقال له: الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل  
عملهم؟ فقال رسول الله : ( أنت يا أبا ذر مع من  
أحببت ) 0

لذلك قال شيخنا في الياقوتة :  
واصحب رجال الله تصبح آمنا

فهم الأمان وهم مصايح الدنا  
فهم الغياث وهم معادن وصلنا  
أكرم بقوم أرادوا وجنا

من جاءهم يرجوا الرشاد بنورنا  
 سطعت له أنوار قدس كمالنا  
 ولذلك قال رسولنا الكريم ( المرء على دين خليله  
 فليُنظر أحدكم من يخالل)  
 فيا سعادة من وفقه الله لصحبة هؤلاء ، ولذلك  
 قال سيدي أبو القاسم الجنيدى ( من أراد الله به  
 خيراً أوقعه في صحبة الصوفية ) ، وذلك لأن  
 صحبة أهل الله ما هي إلا دليل على محبة الله ،  
 لأنه كما قال ابن عجيبة : محبة من يوصل إلى  
 الله ما هي إلا محبة الله ، والنظر إلى العارف  
 بالله فإنما هو النظر إلى الله ، إذ لم يبق فيه بقية  
 لغير الله ، فصار نوراً مهياً من نور الله 0  
 وأكد على ذلك شيخنا في بعض حكمه فقال : قلة  
 الأنام إلا عن صحبة عارف راسخ القدم ، أو سالك  
 صادق ذو همم ، وكل ما دون ذلك عدم 0  
 وانظر قول الله تعالى لنبيه : { وَأَصْنِزْ تَقْسَكَ مَعَ  
 الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ } 0 وعنهما قال ذو النون رحمه  
 الله: أمر الله تعالى الأغنياء بمجالسة الفقراء  
 والصبر معهم والاس-ت-ن-ان بسنتهم. قال الله

تعالى: { وَأَصْنِز تَقْسَكَ } 0  
قال عمرو المكى: صحبة الصالحين والفقراء  
الصادقين عين أهل الجنة يتقلب من الرضا إلى  
اليقين ومن اليقين إلى الرضا 0  
وما أحسن قول أحدهم لرجل: دع عنك هذا ، من  
جاع جوع القوم وسهر سهرهم رأى ما رأوا 0

( 10 )

وصحبة أهل اللغو تهلك يا فتى  
كمن عاش قزداً بالقبور بلا وقد

وهذا البيت مرتبط بسابقه ، إذ مما يعين المرید  
على مشاق الطريق أن یصحب من ینهضه حاله  
ویبتعد عن مصاحبة الغافلين وأهل اللغو ، وشبه

شيخنا هنا من صاحب أهل اللغو والغفلة بمن  
عاش بين القبور فردا بلا زائر ولا وافد ، وقد عبر  
شيخنا عن ذلك في الياقوتة فقال :  
واترك سبيل الغافلين وناجنا

وعن الآثام فكن غنيا محسنا  
كما قال في بعض حكمه : إن جاورت الغافلين  
غفلت ، وإن صاحبتهم وأنت طائع بطاعتك  
اغتررت 0

وبذلك حثنا سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم  
فقال ( لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا  
تقي ) 0

والله وصف أهل النجاة والإيمان بقوله { والذين  
هم عن اللغو معرضون } ، ذلك أن هؤلاء  
المؤمنون لما طالعوا الحق أخذهم عنهم وسلبهم  
منهم قد شغلهم عن الأغيار ، وآواهم بعيدا عن  
اللغو ومن باب أولى أهل اللغو إلى صحبة  
العارفين وأهل الإيمان 0

واللغو هو كل فعل لا لله وكل قول لا من الله  
ورؤية غير الله وكل ما يشغلك عن الله فهو لغو 0

وقيل ال-غ-و هـ-و المعاصي وقيل هـ-و الباطل  
وقيل هـ-و الغناء، وقيل هو كل ما سوى الله، ولذلك  
روى مالك عن محمد بن المنكدر أنه قال: يقول  
الله جلّ ذكره يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون  
أنفسهم وأسماعهم عن اللغو ومزامير الشيطان،  
أدخلوهم في رياض المسك، ثم يقول للملائكة:  
أسمعوهم حمدي وثنائي علي وأخبروهم ألا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون.

بل إن علماءنا حذرونا حتى من مجالسة أهل  
الهوى ، فقال الحسن البصري رحمه الله : لا  
تجالسوا أصحاب الهوى ولا تجادلوهم ولا تسمعوا  
منهم 0

لأن مجالسة هؤلاء — كما قال إبراهيم النخعي —  
تذهب بنور الإيمان من القلوب ، وتسلب محاسن  
الوجوه ، وتورث البغض في قلوب المؤمنين 0

كما قال أبو قلابة رحمه الله: لا تجالسوا أصحاب  
الأهواء ولا تجادلوهم ، فإني لا آمن أن يغمسوكم  
في ضلالتهم ، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون 0

بل إن ابن عجيبة رحمه الله قال بأن الهجرة من  
أوطان الغفلة واجبة، ومفارقة الأصحاب والعشائر  
الذين لا يوافقون العبد على النهوض إلى الله  
فريضة، فيجب على المريد أن يهاجر من البلد  
التي لا يجد فيها قلبه، ولا يجد فيها من يتعاون  
به على ربه، كائنة ما كانت، وما رأينا ولياً قط  
أنتج في بلده، إلا القليل، فلما هاجر صلى الله عليه  
وسلم من وطنه إلى المدينة. وحينئذ نصر الدين،  
بقيت سنة في الأولياء، لا تجد ولياً يعمر سوقه إلا  
في غير بلده، ويجب عليه أيضاً أن يعتزل من  
يشغله عن الآباء والأبناء والأزواج والعشائر،  
وكذلك الأموال والتجارات التي تشغل قلبه عن  
الله

## وَمَنْ ضَيَّعَ الْأَوْقَاتَ بِاللَّغْوِ لَاهِيَا كَمَنْ هَدَرَ الدَّرَّ النَّظِيمَ مِنَ الْعَقْدِ

يرشدنا شيخنا إلى أهمية الوقت ، وإلى أن الصوفي الحق والمؤمن الصادق هو الذي يحرص على وقته فلا يضيعه ولا يمضيه فيما لا نفع فيه ، وشبهه شيخنا من ضيع وقته كمن أتلف عقدا منظوماً فانفلتت منه الدرر 0وها هو الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول: استفتدت من الصوفية كلمتين قولهم؛الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك 0

— وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر فقال : - ( يا أبا ذر ، إياك والتسويق بعملك فإنك بيومك ولست بما بعده ، فإن يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم ، وإن لم يكن غد لك فلا تندم على ما فرطت في اليوم 0 يا أبا ذر كم مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومنتظر غداً لا يبلغه 0 يا أبا ذر لو نظرت إلى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره ) 0

ولحرص السلف على أوقاتهم واستثمارها فيما يفيد ، كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يقول : لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد ، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد 0

ولذلك فلا تكن كأحدهم كان إذا سقط منه درهما لظل يومه يقول : إنا لله ذهب درهمي ، وهو يذهب عمره ولا يقول ذهب عمري 0 والوقت عند العابد هو وقت العبادة والأوراد وعند المريـد هو وقت الإقبال على الله والجمعية عليه والعكوف عليه بالقلب كله ، والوقت هو أعز شيء يغار عليه أن ينقضي بدون ذلك ، فإذا فاتته وقت فلا سبيل له إلى تداركه كما في المسند مرفوعاً من أفطر يوماً من رمضان متعمداً من غير عذر لم يقضه عنه صيام الدهر وإن صامه 0

وعن ابن مسعود قال: ( ما ندمتُ على شيء ندمي على يومٍ غربَّت فيه شمسُهُ نقص من أجلي ولم يزدْ فيه عملي )

وقال الإمام الجنيد : قال لرجل وهو يعظه: (جماعُ الخير في ثلاثة أشياء: إن لم تمضي نهارك



بما هو لكَ فلا تمضيه بما هو عليك, وإن لم تصحب  
الأخيارَ فلا تصحب الأشرار, وإن لم تنفقَ مالك  
في ما لله فيه رضا فلا تنفقه في ما لله فيه سخط  
)

كما قال شيخنا في الياقوتة:

فالوقت كنز زاخر من فيضنا

فاغنم جواهره بذكر يرضنا

فالعمر إما ساعة بوصلنا

أو ينقضي حتماً وتحرم وصلنا

وعن الحسن الـبصري رحمه الله- قال: أدركتُ

أقواماً كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصاً على

دراهم-كم ودنانيركم

ومن كلام السلف المأثور، وأقوالهم السائرة: من

علامة المقت: إضاعة الوقت

كما نبهنا على ذلك سيدنا رسول صلى الله عليه

وسلم فقال: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة ، حتى

يسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده

فيما أبلاه ، وعن علمه ما عمل فيه ، وعن ماله من

أين كسبه وفيما أنفقه) رواه أبو برزة الأسلمي وأخرجه الترمذي 0

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: كل مجلس لا يذكر فيه العبد ربه تعالى ، كان عليه حسرة وثرة يوم القيامة 0

لذلك كان السلف حريصين على أوقاتهم وينصحون ذويهم بذلك ، وكان بعضهم يوصي أصحابه قائلاً : " إذا خرجتم من عندي فتفرقوا ، لعل أحدكم يقرأ القرآن ، ومتى اجتمعتم تحدثتم 0 ولذلك كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز ، ف قيل له في ذلك فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية 0

– وقال الوزير بن هبيرة:

والوقت أنفس ما غـ. نيت بـ. حـ. فـ. ظـهـ  
وأراه أسهل ما عليك يضيع  
كما قال بن الجوزي: يا من أنفاسه محفوظة ،  
وأعماله ملحوظة، أيثَّقُ العمر النفيس في نيل  
الهوى الخسيس 0

فانظر أخي كيف كان حرص أسلافنا على وقتهم ،  
حتى أن محمد بن ثابت الكتاني رحمه الله قال :  
ذهبت ألقيت أبي وهو في الموت لا إله إلا الله ،  
فقال لي: يا بني دعني فأني في وردي السادس أو  
السابع0

( 12 )

وَصِدْقُ الْعَزَائِمِ وَالْمَسِيرُ عَلَى هُدًى  
وَأَيْتَارُ مَنْ تَهَوَّى عَلَى النَّقْسِ وَالنَّد

ثم إنه يجب على المريد أن يتسلح بسلاح العزيمة  
الصادقة والجد والاجتهاد في سيره وسلوكه وأن  
يكون هواه تبعاً لما جاء به النبي الكريم ، والسير  
على منهاج النبوة0 وقد قال لي شيخني يا ولدي لا  
تكفي أن تكون لديك همة وعزيمة للسير في  
طريق مولاك ، ولكنها يجب أن تكون همة صادقة  
ولذلك قال القائل:

هنيئاً لأهل الدير كم سكـروا بها

وما شربوا منها لكنهم هموا

فهؤلاء مع ضلالهم هموا وعزموا وأنفقوا الأموال

لنصرة ضلالتهم لكنهم ضلوا وما وصلوا ، إذ يجب أن تقصد بعبادتك وجه الله وأن لا تمنّ بعبادتك وعزيمتك على الله ، لذلك يأتيني بعض المريدين وأعطيه ورداً فيداوم عليه أياماً ثم يأتيني ويشكوا لي بأنه لم يرى ثمة رؤيا0 ماذا يريد هذا المريد أن يرى؟ أتمن بذكرك ووردك على مولاك! يا ولدي ما كنت لتذكره لولا توفيقه ، أما سمعت مولاك يقول { وما يذكرون إلا أن يشاء الله } 00 فهذا لم يكن مخلصاً حينما ذكر الله ، فالذكر والاجتهاد مطلوب لكن شريطة أن تقصد به وجه الله ولا تمن به عليه وأن يكون صواباً على منهاج سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال سيدي أبو مدين : قوة العارف بمعروفه وهمم العارفين لا تسموا لغير معروفهم ، كما أن همم العارفين لم تزل عاكفة على مولاها 0 ولذلك نبه على ذلك شيخنا في بعض حكمه فقال: من لم يتخذ سبيل العزم في بحر الطريق سرباً ، ويطلق شراع التسليم نصباً، هيهات أن يرى من خضر الحقيقة عجباً 0

والعزيمة هي الجد والاجتهاد ، وقال بن رجب رحمه الله: العزيمة هي القصد الجازم المتصل بالفعل 0

وقال بن القيم: ليس للعبد أنفع من صدقه ربه في جميع أموره ، فيصدق في عزمه وفي فعله ، قال تعالى { فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم } فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل ، فإذا صدقت عزمته بقى عليه صدق العمل ، وهو است فراغ الوسع وبذل الجهد وأن لا يتخلف عنه بشئ من ظاهره وباطنه 0

واعلم أخي أنه لا قدرة للعبد على ذلك إلا به ، وهو نوعان: أحدهما: عزم المرید على الدخول في الطريق وهو البداية ، وبه يحصل له الدخول في دائرة الأنوار والخير والبعد عن كل شر ، والثاني: العزم على الإستمرار وعلى الإنتقال من حال إلى حال أكمل منه وهو النهاية 0

ومن صدق في عزمه يئس منه الشيطان ، ومن تردد طمع فيه الشيطان وسوفه ومثاه 0

والنفس قد تسخوا بالعزم في الحال ، إذ لا مشقة في الوعد والعزم ، والمؤنة فيه خفيفة ، فإذا حقت الحقائق وحصل التمكين وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ، ولم يتفق الوفاء بالعزم ، وهذا مضاد للصدق فيه ، ومثاله في كتاب الله كثير ، منها قوله تعالى في سورة التوبة { ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين 0 فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون } وقوله في سورة الأحزاب { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا 0

وقد سئل بعض السلف : متى ترحل الدنيا من القلب؟ قال: إذا وقعت العزيمة ترحل الدنيا من القلب ودرج القلب في ملكوت السماء ، وإذا لم تقع العزيمة اضطرب القلب ورجع إلى الدنيا 0 — كذلك بين شيخنا أنه لا بد أن تؤثر الله ورسوله على نفسك وهواك ، وقد قال وهيب بن الورد:

بلغنا والله أعلم أن موسى عليه السلام قال يارب  
أوصني قال أوصيك بي قالها ثلاثا حتى قال في  
الأخري أوصيك بي أن لا يعرض لك أمر إلا آثرت  
فيه محبتي على ما سواها فمن لم يفعل ذلك لم  
أزكه ولم أرحمه 0

ومن علامة المحبة والإيثار سرعة الإستجابة لله  
ورسوله ، ودلنا على ذلك قول ربنا { فإن لم  
يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم } 0  
ولذلك أحسن من قال:

إن هواك الذي بقلبي \*\*\* صيرني سامعًا مطيعًا  
أخذت قلبي وغمض عيني \*\*\* سلبتني النوم  
والهجوًا

فذر فؤادي وخذ رقادي \*\*\* فقال لا بل هما جميعًا  
وانظر بلاغة ما قاله الشيخ حينما جمع بين صدق  
العزم وإيثار الله ورسوله ، لأنه لن يتأتى لك  
الصدق في العزم ما لم يتمكن حب الله ورسوله  
في قلبك وإيثارهما على نفسك وعلى ما سواهما ،  
لأنك إن أحببته علمت أنه هو ولا شئ معه ، وأنه

مالك كل شئ ، وأنه ليس لك من الأمر شئ ،  
فتسلم كلك له ، وتؤثره على نفسك وهو اك0  
وقال بن القيم: أن العبد ليس له شيء أصلا والعبد  
لا يملك حقيقة . إنما المالك بالحقيقة سيده .  
فالأثرة والإيثار والاستئثار كلها لله ومنه وإليه .  
سواء اختار العبد ذلك وعلمه ، أو جهله ، أم لم  
يختره . فالأثرة واقعة . كره العبد أم رضي . فإنها  
استئثار المالك الحق بملكه تعالى0

وهو فعل الصابة مع سيدنا رسول الله منها ما روي  
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ  
-صلى الله عليه وسلم- فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ مَا  
مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ؟ صلى الله عليه  
وسلم:- «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ  
الْأَنْصَارِ أَنَا، فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَكْرَمِي  
ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: مَا  
عِنْدَنَا إِلَّا قَوْتُ صِنْيَانِي، فَقَالَ هَيَّئِي طَعَامَكَ،  
وَأَصْنَحِي سِرَاجَكَ، وَتَوَمِّي صِنْيَانَكَ إِذَا أَرَادُوا  
عَشَاءً، فَهَيَّاتِ طَعَامَهَا وَأَصْنَحِي سِرَاجَهَا وَتَوَمَّمِي  
صِنْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَاتِبًا تَصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأُطْفِئَتْ



فَجَعَلَا يَرِيَانَهُ أَتَهُمَا يَأْكُلَانِ قَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا  
أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-  
فَقَالَ «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا»  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ  
بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩].

وَفِي الْبَرِّ سِرٌّ السِّرُّ وَالْجُودُ رَقْعَةٌ  
وَبِالْبُخْلِ تَقْطَعُ مَا يَفْدِيضُ مِنَ الْمَدِّ

وهنا يدعوا شيخنا إلى البر والجود ونبذ البخل  
لأن البخل خلق ذميم ، لذا أقسم ربنا في حديثه  
القدسي فقال ( وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك  
بخيل ) ، وأن نتخلق بأخلاق نبينا الكريم إذ كان  
صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة ،  
وكن كنبيك محمد في الجود والإنفاق ، إذ وصفه  
بعض أصحابه فقال ( جئتكم من عند رجل يعطي  
عطاء من لا يخشى الفقر ) ، ولذلك قال شيخنا في  
الياقوتة :

إِنْ رُمْتَ إِحْسَانًا وَوَاسِعَ بَرْنَا  
أَنْفَقَ مِنَ الْمَحْبُوبِ وَأَقْصَدَ وَجْهَنَا  
مَنْ شَاهَدَ الْأَنْوَارَ يُعْطِي مَوْقِنًا  
مِثْلَ الرِّيحِ وَلَا يَمِيلُ إِلَى الدَّنَا  
إِنْ زَالَتِ الْأَسْتَارُ يُعْطِي عَبْدَنَا

بيد السخاء وجوده من جودنا  
ولذلك قال مولانا في محكم كتابه { لن تنالوا  
ال-برح-تى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ  
فإن الله به عليم} وفيها قال بن عجيبة رحمه الله  
: ليس للفقير شيء أحب من نفسه التي بين  
جنبه، بل عند جميع الناس، فمن بذل روحه في  
مرضاة الله نال رضوان الله ومعرفته، وهو غاية  
البر، فمن أذل نفسه لله أعزه الله، ومن أفقر نفسه  
لله أغناه الله، من تواضع لله رفعه، فبذل النفس  
لله هو تقديمها لشيخ التربية يفعل بها ما يشاء،  
فكل ما يشير به إليه بادر إليه بلا تردد، فمن فعل  
ذلك فقد نال غاية البر، وأنفق غاية ما يحب، وكل  
من بذل نفسه بذل غيرها بالأحرى، إذ ليس أعز  
منها 0

ويقال اذا كنت لا تصل الى البر الا بانفاق محبوبك  
فمتى تصل الى البار وانت تؤثر عليه حظوظك 0  
قال القشيري: من اراد البر فلينفق بعض ما يحبه  
ومن اراد البار تعالى فلينفق جميع ما يحبه 0  
وقال نجم الدين الكبرى فى قوله تعالى { فان الله

به عليم { فبقدر ما تكونون له يكون لكم كما قال  
من كان لله كان الله له فان الفراش ما نال من بر  
الشمع وهو شعلته حتى انفق مما احبه وهو نفسه

0

وقال القاشانى: كل فعل يقرب صاحبه من الله  
فهو بر ولا يمكن التقرب اليه الا بالتبرى مما سواه  
فمن احب من دون الله شيئاً فقد حجب به عن  
الله واشرك شركاً خفياً لتعلق محبته بغير  
الله ، فلا يزول البعد ولا يحصل القرب الا ببذل  
المال والمهجة وقطع محبة غير الله وافناء النفس  
بالكلية عن صفاتها الرذيلة0

ومن أجل هذا كان نبينا الكريم يتعوذ من البخل  
فيقول: اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل0  
وقد عرف شيخي البخلاء في كتاب معارج  
الوصول فقال: البخلاء عظمت لديهم بلية  
الحجاب ، ولم يشهدوا منة الوهاب، وانطمست  
بصائرهم بشهود الأسباب، ونسوا أن الله يرزق من  
يشاء بغير حساب0

ويبين شيخنا هنا أن سر بر الله لك هو برك

وجودك في طريق الحق ، وعلى قدر البذل يكون  
العطاء والفيض من الكريم المنان، وبخلك سبب  
لقطع فيض الله لك وإمداده، ولذلك قال بعضهم :  
أعط مما في يدك تأخذ مما في يده ويزيد ، وأعط  
وأعطه يدك ما في يدك تأخذ ما في يده ويزيد  
وما فيها يعطه يده ومزيد0

وقال شيخنا في كتابه وصايا الأمان:  
إن البخيل فليس حقاً مؤمناً

أم كيف بالفردوس يشهد وجهنا  
واعلم أخي أن السلوك في طريق الحق على  
السخاء واجتناب البخل كما قال بن عطاء الله –  
وهو ما يكون ببذل النفس والمال والسر والروح  
والكل ، ومن بخل بشئ في طريق الحق حجب به  
وبقي معه، ومن نظر في طريق الحق إلى الغير  
حرم فوائد الحق وسواطع أنوار القرب0  
وقد روى مالك رحمه الله عن مولاة لعائشة رضي  
الله عنها ، أن مسكينا سأل عائشة وهي صائمة  
وليس في بيتها إلا رغيف ، فقالت لمولاة لها :  
أعطه إياه ، فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه ،

فقلت :أعطه إياه ، ففعلت ، فلما أمسينا أهدي لها  
أهل بيت شاة وما كانوا يهدوا لها من قبل ،  
فدعتني عائشة وقالت: كلي من هذا ،هذا خير من  
قرصك 0

ولذلك يبين لنا شيخنا هنا أن الله يفيض عليك  
من فيض عطاء الربوبية متى بذلت وأنفقت في  
سبيله وهو أيضاً من عطاء الله ، ولذلك قال  
شيخنا في بعض حكمه : علم أنك بما أنعم عليك  
مفتون ، وأنك شرغت به حد الجنون ، فخاطبك  
بقوله { لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون } 0  
كما قال أيضاً: علم أن حجاب وجودك عليك بينا ،  
وأن حبك للمال على قلبك مهيمناً فسرى خطاب  
قدسه لك معلناً { إن تقرضوا الله قرضاً حسناً } 0  
وأختم بما قاله الإمام أحمد بن عمر في تفسيره  
فقال: إن الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله  
فالخلف لهم الجنة ، والذين ينفقون أرواحهم  
وقلوبهم في سبيل الله فيكون الخلف عنهم ولهم  
الحق سبحانه ، ومن يعطي ثمرة إلى فقير يأخذها  
الله بيمينه ويربها كما يربي أحدكم فلوة أو

فصيلة ، حتى تكون أعظم من الجبل ، فكيف بمن يعطي قلبه إلى الله تعالى وهو يربيّه بين إصبعي جماله؟ فلا جرم يصير بتربيته أعظم من العرش بما فيه ، بل يكون العرش بما فيه في عرصته كحلقة في فلاة ، فافهم جيداً 01

( 14 )

وخيّرْ وجْوهَ البرِّ قَصْدَ مُجَرَّدٍ  
وطَهَّرْ وتَسْلِيمٌ وَجُودٌ مَعَ الرُّشْدِ

يبين لنا شيخنا أن أوجه البر كثيرة ، لكن خيرها وأفضلها في أربعة أوجه : قصد مجرد – وطهر – وتسليم – وجود مع الرشد 0  
وقد نبه شيخنا على أهمية تجريد القصد فيجرد

المريد قصده لله وحده ، لأنه كما قال شيخنا كفى  
بالمرء إثماً أن يطرق باب الحق بعبادة يريد بها  
وجه الخلق0 كما قال في الياقوتة :  
من جرد المقصود يرجوا قربنا  
يلق العناية والرعاية عوننا  
اجعل مرادك بالعبادة وجهنا  
تنل الشهادة والمعنية محسناً  
وبقدر ما تجلوا مرادك تلقنا  
بمعينة الأنظار تدرك سعدنا  
كن طالباً وجه المليك ومحسناً  
يكن النبي هو الرفيق بأمرنا

يا عابد الرحمن فاقصد وجهنا  
لا تلتفت للغير تقصد خلقنا  
والتجريد والتفريد يقصد بهما أن العبد يتجرد عن  
الأغراض فيما يفعله، لا يأتي بما يأتي به نظراً إلى  
الأغراض في الدنيا والآخرة، بل ما كوشف به من  
حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقياداً،  
والتفريد ألا يرى نفسه فيما يأتي به بل يرى منه



الله عليه؛ فالتجريد بنفي الأغيار، والتفريد بنفي نفسه، واستغراقه في رؤية نعمة الله عليه، وغيبته عن كسبه 0

ونبهنا ربنا لذلك في كتابه فقال { فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } سورة الكهف الآية 110 0

وفي الحديث المأثور عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به ، فإذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل : اجعلوها في سجين ، إنه ليس إياي أراد بها ) 0 — وقد سمع بعض الصوفية قارئاً يقرأ { منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة } فقال: وأين من يريد الله؟ 0

— وقال الحسن البصري رحمه الله : رحم الله عبداً وقف عند همه ، فإن كان لله مضي ، وإن كان لغيره تأخر 0

لأنه كما قيل : كل هم وذكر لغير الله تعالى فهو حجاب بينك وبين الله 0 تركت للناس ما تهوى نفوسهم

من حب دنيا ومن عز وجاه  
كذاك تركت المقامات هنا وهنا  
والقصد غيبتنا عما سوى الله  
كما نبه شيخنا على ضرورة طهارة المريد سواء  
ظاهراً أو باطناً، فقال في الياقوتة :  
الطهر شطر فيه أمن أماننا  
فهو الوسيلة للوداد وحبنا  
فالزم سبيل الطاهرين بتوبنا  
دامت طهارتهم بزمزم  
عوننا  
طهر فؤادك واللسان بذكرنا  
أخلص إلينا لا تميل لغيرنا  
وعبر عن ذلك أيضاً في كتاب وصايا الأمان فقال:  
بل فالزموا طهراً بليل زماننا  
وكذا النهار تطهروا للقائنا  
فالطهر شطر للإيمان وقربة لجوارنا  
فتطهروا في ظاهر ثم باطنا  
أما الظواهر طهرها عن حرامنا

وكذا البواط عن شهود لغيرنا

إنا نحب التائبين النادمين لعزنا

وكذا نحب الطاهرين الشاهدين لنورنا

كما نبهنا إلى ضرورة التسليم ، فالمريد الحق هو من يسلم لمراد الله تسليماً كاملاً ، ولذلك وصف شيخنا مثل ذلك المريد بأن قلبه من القلوب المنية ، فقال في كتابه لمن شاء منكم أن يستقيم:

القلب المنيب { التسليم حالته ، والجمع معيته ، والعجز حوله وقوته } ، فيوضح لنا أن القلب المنيب هو قلب مستسلم لله وأحكامه ، في حالة جمع على الله ، لا حول له ولا قوة سوى عجزه ، فهو قلب مقبل على الله بالكلية معرض عما سواه ، وهي قلوب الأولياء التي تسمع بالله وتبصر بالله وحاضرة مع الله ، تعبر عما يشير إليها الله في إظهار اللطف أو القهر

ولذلك قال ربنا في محكم كتابه { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا

تسليماً} وفيها يقول ابن عجيبة رحمه الله في تفسيره : ومن لم يرض بحكم الله خرج عن دائرة الإيمان. فلا يكمل إيمان العبد حتى لا يجد في نفسه حرجاً من أحكام الله، القهرية والتكليفية، ويسلم لما يبرز من عنصر القدرة الأزلية، كيفما كان، فقراً أو غنى، ذلاً أو عزاً، منعاً أو عطاء، قبضاً أو بسطاً، مرضاً أو صحة، إلى غير ذلك من اختلاف المقادير. ويرضى بذلك ظاهراً وباطناً، وينسلخ من تدبيره واختياره إلى اختيار مولاه فهو أعلم بمصالحه، وأرحم به من أمه وأبيه<sup>0</sup> و قال شيخنا في حكمه: لا يسلم عليه من لا يسلم إليه<sup>0</sup>

والتسليم إنما يكون لأمر الله وقدره ولأوامر النبي الكريم وورثته من العلماء والأولياء الربانيين ، وإلا كنت فاقداً لأحد شروط الإيمان ، ولن تزداد إلا بعداً<sup>1</sup> وصدأ<sup>0</sup> ولذلك قال سيدي أبو مدين الغوث في بعض حكمه : ثمن التصوف تسليم كلك<sup>0</sup> كما نبه على الجود وترك البخل فقال في الياقوتة: أنفق بجود من كريم عطائنا

ننفق عليك خزائنا من جودنا

إن البخيل فليس حقاً مؤمناً

أم كيف بالفردوس يشهد وجهنا  
وعلى قدر يقينك يكون قدر عطائك وجودك ،  
والسلوك في طريق الحق قائم على السخاء  
 واجتناب البخل ، وهو يكون – كما قال بن عطاء  
الله – ببذل النفس والمال والسر والروح والكل ،  
ومن بخل بشئ في طريق الحق حجب به وبقي  
معه 0

ولذلك قيل : من أقبح كل قبيح صوفي شحيح 0

وأن سادات الناس في الدنيا كما قال بن عباس  
هم الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء 0

وفي الحديث عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ( السخي قريب من الله ، قريب من الناس ،  
بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من  
الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، ولجاهل  
سخي أحب إلى الله من عابد بخيل) رواه  
الترمذي 0

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إذا مات  
السخي قالت الأرض والحفظة : يا رب تجاوز عن  
عبدك بسخائه في الدنيا ، وإذا مات البخيل قالت:  
اللهم احجب هذا العبد عن الجنة ، كما حجب  
عبادك عما جعلته في يديه من الدنيا 0

وقال الإمام الجنيد رحمه الله: لن تنالوا محبة الله  
حتى تسخوا بأنفسكم في الله 0  
ما لي سوى روعي ، وباذل نفسه  
في حب من يهواه ليس بمسرف  
فلئن رضيتَ بها فقد أسعفتني  
يا خيبة المسعى إذ لم تسعف 0

( 15 )

وَمِنْ بَعْدِ مَخَوْكَ يَا مُرِيدُ بِصَحْوَةٍ  
تَلُطِفُ لِجَمْعِ الزَّادِ وَاهْرَعْ بِالْجَدِّ

اعلم أخي أن أول طريق القوم باعث يقذفه الله  
في قلب عبده ليوقظه من غفلته ، فيقول له قم  
من غفلتك يا غافل ، فينظر العبد في أحوال نفسه  
وما عليها من جناية وغفلات ، ويقوى هذا الباعث  
في نفسه رويداً رويداً فيفيق من رقادته وغفلته ،  
ويتفكر في عجائب القدرة الإلهية وعجائب  
السموات والأرض وإبداع صانعها ، فيتوب ويقبل  
على نفسه ليربيها ، وهنا تبدأ حالة المحو ، لاسيما  
إن رزقه الله بشيخ عارف بالله ، فيأخذ بيده

ليمحوا عن نفس ذلك المريد آفات نفسه الأمانة  
بالسوء التي تجلت على عرش قلبه ، ويخليه من  
أوصافه الذميمة ، ويزكي نفسه من رجس  
الشهوات ويطهرها من متابعة الهوى ، ويخلص  
روحه من غيم الغفلة ، فإذا ما تحقق له ذلك بدأت  
مرحلة جديدة هي مرحلة الصحو ، وهي من  
صحت السماء إذا زال عنها الغيم ، فيدخله شيخه  
فكرة العيان فيغيب عن نظرة الأكوان ويبقى  
المكون وحده ، فالصحو إذن هو حاله بعد ذلك ،  
أي بعد تزكية نفسه وتطهير قلبه وروحه ليتحلى  
بالشمائل والأخلاق المحمدية ، ليكون كنبه قرآناً  
يمشي على الأرض ، أي ينتقل لحال جمع الزاد  
ليوم الميعاد في ستر أو في حالة تلتف كما عبر  
عنها شيخنا 0

فالمحو إذن ما هو إلا تجريد الظاهر بترك كل ما  
يشغل الجوارح عن طاعة الله ، كذا تجريد الباطن  
بترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله ، أي  
تفريد القلب والقالب لله 0

ثم يهرع بعد صحوه إلى جمع زاده ليوم ميعاده ،



وليتلطف ولا يشعرون به أحداً ، حتى لا يشغلوه عن أوراده وأذكاره ، كما حدث مع سيدتنا السيدة نفيسة رضي الله عنها عندما هرع إليها حشود من البشر يلتمسون عندها البركة وازدحمت بـها الدار ففكرت السيدة نفيسة في مغادرة مصر حيث تعود إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقضى بقية عمرها في هدوء وعبادة ولما علم أهل مصر بذلك شق عليهم أن تفارقهم ، فالتمسوا منها العدول عن عزمها ورجوها البقاء بينهم ولكن أصرت على طلبها فلجأوا إلى والى مصر " السري بن الحكم بن يوسف " فانتقل إليها يستعطفها ويطلب منها البقاء فقالت: ( إني كنت قد عذمت المقام عندك ، غير أنني امرأة ضعيفة وقد تكاثر الناس حولى وأكثروا من زيارتى فشغلونى عن أورادى وجمع زادى لمعادى ، غير أن منزلى هذا يضيق لهذا الجمع الكثيف والعدد الكبير ولقد زاد حنينى إلى روضة جدى المصطفى صلى الله عليه عليه وسلم ) ، فقال لها السرى : ( يا ابنة رسول الله إني كفيل بإزالة ما تشكين منه وسأهد لك السبيل

وأهين لك ما فيه راحتك ورضاؤك ، أما ضيق  
المنزل فإن لى دارا واسعة بدرب السباع وإنى  
أشهد الله تعالى أنى وهبتها لك وأسألك أن  
تقبلهـا منى ولا تخجلينى بردها على ) ، فقالت  
بعد سكوت طويل : ( إنى قد قبلتها منك ،  
وقالت : يا سرى كيف أصنع بهذه الجموع الكثيرة  
والوفود الغفيرة ) ، فقال : ( تتفقين معهم على أن  
يكون للزوار فى كل جمعة يومان وباقى الأسبوع  
تتفرغين لعبادتك، أى : السبت والأربعاء  
للناس ) وكانت تقول : اللهم لا تجعل روادى  
يشغلونى عن أورادى وجمع زادى لمعادى0  
ولذلك يقول سيدى ابن عطاء الله فى الحكم  
العطائية:

(ادفنْ وُجُودَكَ فى أرضِ الخُمُولِ، فَمَا تَبَتَّ مما لم  
يُدْفَنْ لا يتم نَتَاجُهُ0)  
أى استر نفسك أيها المريد وادفنها فى أرض  
الخمول حتى تستأنس به وتستحليه، ويكون  
عندها أحلى من العسل، ويصير الظهور عندها أمر  
من الحنظل، فإذا دفنتها فى أرض الخمول

وامتدت عروقها فيه، فحينئذ تجني ثمرتها ويتم لك نتائجها، وهو سر الإخلاص والتحقيق بمقام خواص الخواص. وأما إذا لم تدفنها في أرض الخمول وتركتها على ظهر الشهرة تجول، ماتت شجرتها أو سقطت ثمرتها0

وقال بعض العارفين: كلما دفنت نفسك أرضاً أرضاً سما قلبك سماء سماء. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبوا عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره في قسمه".

وقال بعض الصوفية: قلت لبعض الأبدال المنقطعين إلى الله كيف الطريق إلى التحقيق؟ قال: لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة. قلت: لا بد لي، قال: فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة، قلت: لا بد لي، قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم خسران وحسرة ووحشة، قلت: أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم، قال: فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة، قلت: هذا لعله يكون. قال: يا هذا تنظر إلى اللاعبين، وتسمع كلام الجاهلين، وتعامل البطالين، وتسكن إلى

الهالكين وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع  
غير الله. هيهات، هذا لا يكون أبدا، ثم غاب عني.

( 16 )

فَمَا لَمْ تَخْلَ النَّفْسَ وَتَسِيرَ قَانِيًا  
فَمَا زِدْتَ فِي طَلْبِ الْقَرِيبِ سِوَى بُغْدٍ

وشرح لي شيخي ذلك فقال لي : " إن الطريق إلى الله أقل من خطوة ، وأنت حجابك الوحيد عن تحب ومن تريد ، وإلا كيف نفسر قول الله تعالى ( ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ) ، لكنه أمرك بالفرار منك إليه ، فخاطبك خطاب مراد لمريد ففروا إلى الله ، لذلك أقول إن وهم تعاضم إحساسك بذاتك أعماك عن هو أقرب إليك من حبل الوريد ، فقوم حجبهم غين الأغيار وأحوال الأوزار ، وقوم حجبهم التيه في الأنوار عن منة الغفار ، وهؤلاء وأولئك بعيدون عن قريب على عباده ستار" 0

— واعلم أن للنفس حجباً نورانية وحجباً ظلمانية ، وسبيل المريد للوصول إلى التخلص من تلك الحجب هو مجاهدتها ومخالفتها والخروج عن هواها لأنها أعظم حجاب بين العبد وربّه 0

وفي هذا يحكى أن سيدي أبا يزيد البسطامي رحمه الله رأى ربه في المنام فقال له : يا رب كيف الطريق إليك ؟ فقال له رب العزة : اترك نفسك

وتعال ، فقال أبويزيد رحمه الله : فانسخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها 0

— والنفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب ، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة ، والعبد يردّها بجهدّه عن سوء المطالبة ، فمن أطلق لنفسه العنان فهو شريكها في فسادها ، فهي العدو الملازم للإنسان لقوله عليه الصلاة والسلام ( أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ) رواه البيهقي — ويقول الإمام الحداد أن النفس تكون في أول الأُمارة تأمر بالشر وتنهى عن الخير ، فإن جاهدّها الإنسان وصبر على مخالفة هواها ، صارت لوامة متلونة لها وجه إلى المطمئنة ووجه إلى الأُمارة ، فهي مرة هكذا ومرة هكذا ، فإن رفق بها وسار بها يقودها بأزمة الرغبة فيما عند الله صارت مطمئنة تأمر بالخير وتستلذه وتأنس به ، وتنهى عن الشر وتنفر عنه وتفرمّه 0

— وأصل المجاهدة وملاكها فطم النفس عن المألوفات ، وحملها على خلاف هواها في عموم

الأوقات ، وإنما تذل النفس وتنقاد بثلاثة أشياء :  
1- منع شهواتها فإن الدابة الحرون إنما تلين إذا  
نقص علفها 0 2- حمل أثقال الطاعات لأن الدابة  
الحرون إذا قل علفها وزيد حملها ذلت وصغرت  
وضعت قوتها وانقادت وأطاعت 3 - أن  
تستعين بالله عز وجل وتتضرع إليه أن يعينك  
عليها 0

كما نبه على ذلك شيخنا فقال في الياقوتة:  
فالنفس طيبها لقدس لقائنا

جاهد تشاهد يا مريدي من أنا

من رام أن يرقى لحضرة قربنا

يسعى إلينا تائباً وبلا أنا

جاهد إذا رمت الوصال لقدسنا

ما الوصل سهل إن أردت وصالنا

ولذلك عرف شيخنا العارف بأنه من تحلى باطنه  
من رجس الآفات ، وتحلى ظاهره بمظاهر  
الكمالات ، فتجلى الحق عليه بفيض نور الذات 0

( 17 )

وَسِرُّ بَقَاءِ الْعَارِفِينَ فَتَاهُمْ  
بِمَشْهَدِ تَقْرِيدِ الْجَائِلَةِ إِلَى الْأَبَدِ

وقد سألت شيخي عن هذا البيت فوضحه لي  
قائلا : إن سر دوام ذكر العارفين وأهل الله  
الصالحين حتى الآن هو فناهم عن أنفسهم  
وحظوظهم واتصالهم بالله ، مثل الشيخ  
الشعراوي وسيدي أحمد البدوي وسيدي عبد  
القادر الجيلاني وغيرهم كثير ، فهؤلاء فنوا فبقت  
آثارهم وما زال الناس يذكرونهم ، فمن كثرة ما  
فنوا في طاعة الله وانمحت رسومهم وذبلت  
أجسامهم ، في أنوار مشهودهم فأصبحوا مرآة  
لكمالات الحق ، ولذلك لم ولن ينسوا ، لأنهم كانوا  
يحيون بربهم لا بأنفسهم ، والله حي باق لا يموت  
، ولأنهم ماتوا قبل ذلك وهي موتة نفوسهم ،  
والموت لا يكون إلا مرة واحدة ، فلذلك هم باقون  
وآثارهم باقية ، مثل الإمام النووي وغيرهم ،



ولذلك أحسن من قال :  
من أراد أن يراى الجمال منزها  
يفنى عن التكوين والهيئات

ويطوف بالمعنى المنزه شاهدا<sup>1</sup>  
لظهور نور الحق في المشكاة  
ومعنى فنى أي زهد في الدنيا ، زهد الجسد ، لم  
يعش في عالم الجسد ، بل في عالم الروح  
والقلب 0

والتفريد بمعنى التوحيد ، أي تفريد الله بالقصد ،  
أي تفريد الله بالشهود 0  
والفناء ثلاثة مقامات: —

1— فناء الأفعال في الأفعال ، أي يفنى فعل العبد  
في فعل مولاه ، بمعنى أن الله أمرني بآوامر  
وشرع لي شرعا وحد لي حدودا لا أتعداها ولا  
أتجاوزها ، ونفسي تأمرني بعكس ذلك ، فإن  
التزمت آوامر الله وشرعه ، ولم أنقاد لما تأمرني  
به نفسي من فعل الموبقات والحرام ، فهنا يكون  
فناء الأفعال في الأفعال ، أي فنى فعلي في فعل

المولى ، أي قدمت فعل الله وأمره على حظوظ  
نفسى وشهواتها ، وهنا يمدك الله بمظاهر الربوبية  
، وهو ما حدث مع سيدنا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إذ روى أن أبا جهل قال فى ملا من  
طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه  
ونهى سيدنا محمدا عن الصلاة وهم أن يلقى على  
رأسه حجرا فرآه فى الصلاة وهى صلاة الظهر  
فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك فقال ان  
بينى وبينه لخنذا من نار وهولا وأجنحة  
فنزلت والمراد أجنحة الملائكة ابصر اللعين  
الأجنحة ولم يبصر أصحابها فقال عليه السلام  
(والذى نفسى بيده لو دنا منى لاختطفته الملائكة  
عضوا عضوا) ، فهنا فنا النبي عن فعله ولم يلتفت  
لتهديد أبي جهل ، وفنى فى فعل مولاه فأمده الله  
بأمداد الربوبية ، لذلك فإن من مظاهر فناء العبد  
عن فعله ألا يدبر لنفسه أموره بل يتركها لمولاه ،  
لذلك أحسن من قال:

فذوي التدبير هلكى  
أقرب إليك منا

لا تدبر لنفسك أمرا  
فوض الأمر إلينا تجدنا

وقال بن عجيبة رحمه الله: إذا تمكن العبدُ مع مولاه وتحققت محبته فيه، كانت حوائجه مقضية، وهمته كلها نافذة، إذا اهتم بشيء، أو خطر على قلبه شيء، مكّنه الله منه، وسارع في قضاؤه، كما فعل مع حبيبه، حين خطر بباله تزوج زينب، أعلمه أنه زوجة إياها. وأهل مقام الفناء جلّهم في هذا المقام، إذا اهتموا بشيء كان، إذا ساعدتهم المقادير، وإلا فسوابقُ الهمم لا تخرق أسوارَ الأقدار، ولذلك قال هنا: { وكان أمر الله مفعولا } ، { وكان أمر الله قدراً مقدوراً } .

2— فناء الوصف في الوصف ، أي فناء الصفات في الصفات ، وقال لي شيخي : إن أسماء الله منها ما هو للتحقق وهي أسماء الجمال ، لذلك ورد في الأثر " تخلقوا بأخلاق الله " ، ومنها ما هو للتعلق وهي أسماء الجلال مثل القهار ، ومنها ما هو للتعلق وهي أسماء الكمال 0

فإن تخلق العبد عن وصفه وصفاته ، بدت عليه مظاهر الحقيقة وخلع الله عليه خلعة من خلع أسمائه وصفاته ، وكل ولي من أولياء الله تجد الله

قد خلع عليه اسماً من أسمائه ، فتجد ولياً زاهداً ،  
وتجد ولياً غنياً ، فكلما فنيت عن أوصافك أمدك  
بأوصافه ، فإن فنيت عن وصف البخل فيمدك  
بوصف الكرم ، وإن فنيت عن وصف الكبر فيمدك  
بوصف العزة ، وإن فنيت عن وصف الغل فيمدك  
بوصف الرحيم ، وقد سمى الله نبيه بقوله { رؤوف  
رحيم } وهي من أسماء الله ، لكنه رؤوف رحيم بما  
يليق بالبشر لكن رحمة الله لا تتسع لها العقول 0  
فمن فني عن وصفه وفعله ، تجلى عليه المولى  
بأوصاف الربوبية وتظهر عليه الكرامة 0

ولذلك قال بن عطاء الله في حكمه: ( تحقق  
بأوصافك يمدك بوصفه ، وتحقق بذلك يمدك بعزه  
، وتحقق بعجزك يمدك بقدرته وتحقق بضعفك  
يمدك بحوله وقوته ) 000 فمن دخل على الله  
بأوصاف العبودية أمدّه بأوصاف الربوبية ، ومعنى  
التحقق بالوصف أي الإتصاف به قلباً وقالباً ، فمن  
تعزز بالله ذل له كل شئ ، ومن استعان بالله  
أعانه الله على كل شئ ، وهكذا في كل  
الأوصاف 000 وقال سيدي الشيخ أبو الحسن

الشاذلي : تصحيح العبودية بملازمة الفقر والضعف والذل لله تعالى، وأضدادها أوصاف الربوبية ، فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه، وقل على بساط الفقر الحقيقي: يا غني من الفقير سواك ، وقل على بساط الضعف الحقيقي: يا قوي من للضعيف سواك ، وقل على بساط الذل الحقيقي: يا عزيز من للذليل سواك، تجد الإجابة كلها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين 0

3 — فناء الذات في الذات من غير حلول ولا اتحاد ، وهؤلاء هم الذين إذا رؤوا ذكر الله ، فالإنسان كالكتابة حينما تمحى ، فيتحقق المرید بأن كل شئ عليها فان ، فيفنى المرید عن جسده وقلبه وكيانه ويسلم روحه لله 0

وما الفقد إلا الوجد فاقهم إشارتي  
وإن النقي إثبات الشهود بلا ند

من ترك وجد ، وعلى قدر ما تترك على قدر ما  
تجد ، هذا ما يرشدنا إليه شيخنا في هذا البيت ،  
وقد أشار إلى ذلك في الياقوتة إذ قال:  
اترك تجد ربا كريما محسنا

وبقدر عزم الترك تلقى وجودنا  
وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
أروع الأمثلة في ذلك ، فقد تركوا ديارهم  
وأموالهم وتجارتهم وأزواجهم وأولادهم وأهليهم  
فعوضهم الله خيرا ، وها هو الحاكم في المستدرک  
يروى بإسناده عن عكرمة قال: لما خرج صهيب  
مهاجرا تبعه أهل مكة فنزل كنانته فأخرج منها  
أربعين سهما فقال: لا تصلون إليّ حتى أضع في  
كل رجل منكم سهما ثم أصير بعد إلى السيف  
فتعلمون أني رجل وقد خلفت بمكة قينتين فهما  
لكم، قال وحدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس  
نحوه ونزلت على النبي صلى الله عليه وسلم قوله

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 207]، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا يحيى ربح البيع وتلا عليه الآية 0 فانظر كيف ترك الصحابي كل ماله ليجد النبي ، فلما وجد النبي وجد الله فلما وجد الله وجد كل شئ ، وقد هنأه النبي قائلا : بـح البيع أبا يحيى 0

وها هو الصديق يأتي بماله كله ويضعه في حجر النبي فيقول له النبي: ماذا تركت لأولادك؟ قال: تركت لهم الله ورسوله ، ولذلك أخبر النبي أنه ما من أحد له يد 1 إلا كافأه بها رسول الله إلا أبا بكر فقد ترك مكافأته لله 0

وذلك انطلاقاً من أن الصوفي لا يملك شيئاً ولا يملكه شئ 0

وانظر لسيدنا سليمان عليه السلام كيف قطع سوق خيله وأعناقها حينما أحبها وشغلته عن ذكر ربه ، ففعل ذلك لله فعوضه ربه خيراً منها ، بأن سخر له الريح رخاء تجري بأمره حيث أراد ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّافَّاتُ الْجِيَادُ 0 فَقَالَ إِنِّي

أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ  
 بِالْحِجَابِ 0 رَدُّوَهَا عَلَيَّ قَطْفًا مَسْحًا بِالسُّوقِ  
 وَأَلَّا عَ نَ نَ ا ق 0 {فحينما قطعها لله  
 لئلا تشغله عن ذكر ربه ، عوضه ربه خيرا منها  
 فقال} فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ  
 أَصَابَ { فمن مَنْ ترك شيئا عوضه الله خيرا منه،  
 فَمَنْ كَانَ فِي اللَّهِ تَلَفَهُ، كَانَ عَلَى اللَّهِ خَلْفَهُ 0



(19)

كَرَامَةً أَهْلُ الْحَيِّ صَوْنُ عَهْدِهِمْ  
وَيَسْتَوِي الرِّضْوَانُ فِي الْفَقْدِ وَالْوَجْدِ

وهنا ينبهنا شيخنا إلى ضرورة أن يصون المريـد  
عهوده ، وأن يكون راضياً مع مولاه في حال الفقد  
وفي حال الوجد وفي كل حالاته<sup>0</sup> وبين أن كرامة  
المريـد في صون عهده وميثاقه ، ولذلك وصف ربنا  
سبحانه وتعالى من ينقض عهده بالخسران فقال  
جل جلاله { الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ  
مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ  
وَيَقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ } سورة البقرة آية رقم 27

ومعناها الذين ينقضون عهد الله الذي عاهدوه يوم

الميثاق على التوحيد والعبودية والإخلاص من  
بعد ميثاقه<sup>0</sup>

قال قتادة: وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كان يقول في خطبته: " لا إيمان لمن لا  
أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له " <sup>0</sup> أي لا دين لمن  
خان عهده مع الله ولمن خان عهده مع رسول الله  
ومع شيخه والناس<sup>0</sup>

— وأمرنا الله بالوفاء بالعهود فقال تعالى { وَأَوْقُوا  
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } ، وقال يحيى بن  
معاذ: لربك عليك عهد ظاهرًا وباطنًا، فعهد على  
الأسرار أن لا يشاهد سواه وعهد على الروح أن لا  
يفارق مقام القرية.

وعهد على القلب أن لا يفارق الخوف، وعهد على  
النفس في آداء الفرائض، وعهد على الجوارح في  
ملازمة الأدب وترك ركوب المخالفات. والله يقول:  
{ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } .

— والمريد الذي يصون ميثاقه مع ربه وعهده مع  
نبيه وشيخه إنما هو مريد صفا قلبه عن الأكدار  
والأغيار ، وأبصر قلبه العلوم والأسرار فوفى تلك

العهود ، ولذلك وصفهم الله في سورة الرعد  
 الآيتين رقمي 19،20 بقوله {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَتَمًّا أَنْزَلَ  
 إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ  
 أُولَئِكَ إِلَّا لَئِيْلَ بَاطِلٍ مُتَّبِعٍ 0 الَّذِينَ يُوقُونَ  
 بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ 0 وَالَّذِينَ  
 يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ  
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ }

وفي تفسيرها قال بن عجيبة رحمه الله : أفمن  
 تصقت مرآة قلبه من الأكدار والأغيار، حتى  
 أبصرت أمطار العلوم والأسرار النازلة من سماء  
 الملكوت على النبي المختار، فتضلع منها حتى  
 امتلأ منها قلبه وسره، ونبع بأنهار العلوم لسانه  
 وفكره، كمن هو أعمى القلب والبصيرة، فلم يرفع  
 بذلك رأساً؟ إنما ينتفع بتلك العلوم أولو القلوب  
 الصافية التي ذهب خبثها، فصفت علومها وأعمالها  
 وأحوالها من زبد المساوي والعيوب، الذين دخلوا  
 تحت تربية المشايخ، فأوفوا بعهودهم،  
 وواصلوهم، وخافوا ربهم أن يبعدهم من حضرته،  
 أو يناقشهم الحساب فحاسبوا أنفسهم على

الأنفاس والأوقات، وصبروا على دوام المجاهدات، حتى أفضوا إلى قضاء المشاهدات، وأقاموا صلاة القلوب - وهي العكوف في حضرة الغيوب - وأنفقوا مما رزقهم من سعة العلوم ومخازن الفهوم، ويقابلون الإساءة بالإحسان لأنهم أهل مقام الاحسان.

— كذلك الذي يصون عهده ويرضى بأمر ربه في كل حال ، هو ممن اتقى الله حق تقاته ، لذا قيل أن حق التقوى هي : صون المعهود وحفظ الحدود والخمود تحت جريان القضاء بنعت الرضا 0 وقيل هم الذين عاهدهم الله على أن يحبهم ويحبونه، فأوفوا بعهده وما أحبوا غيره 0 قال القشيري رحمه الله: ومن تقض العهد أيضا أن يحيد سرك لحظة عن شهوده 0

قال ابو يزيد البسطامي قدس سره فى حق تلميذه لما خالفه دعوا من سقط من عين الله فرؤى بعد ذلك مع المخنثين و سرق فقطعت يده هذا لمن نكث ، أين هو ممن وفى بيعته! مثل تلميذ الداراني قيل له ألق نفسك فى التنور فألقى نفسه

فيه فعاد عليه بردا وسلاما هذه نتيجة الوفاء0  
كذلك يرضى في كل حالاته في السراء والضراء  
في حال المنع والعطاء في حال الوجد والفقد ،  
ويقول حبر الأمة عبد الله ابن عباس -رضي الله  
عنهما-: أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة  
الذين يحمدون الله تعالى على كل حال.

وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -رضي  
الله عنه- يقول: "لأن الحس جمرة أحرقت ما  
أحرقت، وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول  
لشيء كان ليته لم يكن، أو لشيء لم يكن ليته  
كان"0

وقد وصف الله عبده الذي يوفي عهوده ويرضى  
بأمر الله ويصبر على أوامر ربه ونواهيه وبلائه  
في السراء والضراء بأنه من الصادقين ومن  
المتقين فقال في سورة البقرة الآية 177 {  
0000 والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين  
في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين  
صدقوا وأولئك هم المتقون}0

كما جعل ذلك من صفات المؤمنين الذين أفلحوا فقال جل جلاله { والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون } وفيها ورد عن بعض العارفين: إن لله - عز وجل - إلى عبده سرّين يُسرهما إليه، يُوجده ذلك بإلهام يُلهمه، أحدهما: إذا وُلِدَ وخرج من بطن أمه، يقول له: " عبدي، قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً نظيفاً، واستودعتك عُمرَكَ، ائتمنتك عليه، فانظر كيف تحفظ الأمانة، وانظر كيف تلقاني كما أخرجتك، " وسرّ عن خروج روحه، يقول له: " عبدي، ماذا صنعت في أمانتي عندك؟ هل حفظتها حتى تلقاني على العهد والرعاية، فالقائك بالوفاء والجزاء؟ أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب؟ " فهذا داخل في قوله عز وجل: { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } 0

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم ما رَزَقْتَنِي مما أَحَبُّ فاجعله قُوَّةً لي فيما تُحِبُّ، وما رَزَوَيْتَ عَنِي مما أَحَبُّ فاجعله قَرَأَغا لي فيما تُحِبُّ) 0

وقيل ليحيى بن معاذ: متى يبلغ العبد مقام

الرضا؟

قال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه, فيقول: إن أعطيتني قبلت, وإن منعتني رضيت, وإن تركتني عبت, وإن دعوتني أجبت 0  
لذلك فالرضا كما قال أبو سليمان الداراني هو من أخلاق المرسلين , والمريد الراضي هو أغنى الناس لما ورد في بعض وصية سيدنا رسول الله ( وارضى بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ) , وهو كذلك من أسباب سعادته لما ورد أن رسول الله قال ( من سعادة بن آدم رضاه بما قضى الله ) 0

## وَتَبْلُغْ بِالرِّضْوَانِ أَتْلُغَ غَايَةَ وَبِالسَّخْطِ إِحْبَاطَ لَعْنِكَ وَالْوَرْدِ

وهذا البيت مرتبط بسابقه ، إذ هو تأكيد لمعنى الرضا بالله وترك التسخط على أحكامه وتقديره ، لأن في ذلك السخط إحباط لعهدك مع الله منذ ألت بربكم ، فمن رضي بالله رباً رضي بأحكامه ، ولذلك قال الإمام علي كرم الله وجهه في حكمه :  
صحة الود من كرم العهد0

والرضا ضد السخط وهو ثمرة من ثمار المحبة ، وهو باب الله الأعظم إذ يفرغ القلب لله ، بخلاف السخط فهو يفرغ القلب من الله ، والرضا كما عرفه بن عطاء الله : هو سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل فيرضى به 0 وقد ذكر ابن أبي الدنيا ( رحمه الله ) عن بشر بن بشار المجاشعي - وكان من العلماء - قال: قلت لعابد: أوصني



قال : ألق بنفسك مع القدر حيث ألقاك , فهو أحري  
أن يفرغ قلبك , ويقتل همك . وإياك أن تسخط  
ذلك , فيحل بك السخط وأنت عنه في غفلة لا  
تشعر به 0

وعن وهب بن منبه ( رحمه الله ) قال : ( وجدت  
في زبور آل داود : هل تدري مَن أسرع الناس  
مرًا علي الصراط؟ 0الذين يرضون بحكمي ,  
وألستهم رطبة من ذكرى 0هل تدري أي الفقراء  
أفضل 0الذين يرضون بحكمي وبقسمي ,  
ويحمدوني علي ما أنعمت عليهم 0  
هل تدري أي المؤمنين أعظم منزلة عندي ؟ 0الذي  
هو بما أعطي أشد فرحًا منه بما حبس 0

( 21 )

وفي المنع يَنْبَسُطُ الْعَطَاءُ بِحِكْمَةٍ  
وَقَتْلُ الْقَتْلَامِ هُوَ الْإِشَارَةُ بِالْوَرْدِ

فعطاء الله عطاء ، وكذلك منعه عطاء ، فالمرید  
الحق يعلم بأنه كل من عند الله فيرضى سواء كان  
الأمر منعاً أو عطاء ، وهو ما يرشدنا إليه شيخنا  
في هذا البيت ، ودل على ذلك بما فعله الخضر  
عليه السلام من قتله للغلام ، فظاهر الأمر بلاء  
ومنع ، ولكنه في الحقيقة عطاء ومنح ، وهذا ما  
بينه الخضر لكليم الله سيدنا موسى عليه السلام  
وبينها لنا مولانا في قوله {وَأَمَّا الْقَلَامُ مَ فَكَانَ  
أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا 0

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ  
رُحْمًا {0

ولذلك قيل : بأن (المنع من الله إحسان) ، لأنه  
حبيبك وكل ما يفعله الحبيب محبوب {0  
لذلك قال ابن العربي الحاتمي: إذا مُنِعْتَ فذاك  
عطاؤه ، وإذا أعطيت فذاك منعه ، اختر الترك على  
الأخذ {0

وفي الحكم لابن عطاء الله : (ربما أعطاك الله  
فمنعك ، وربما منعك فأعطاك) {0 وذلك لأن النفس  
الأمارة واللوامة غالباً ما تنبسط عند العطاء ، لأن  
في العطاء متعتها وشهوتها ، كما أنها تنقبض عند  
المنع ، لأن في المنع قطع موادها وترك حظوظها ،  
وهي في هذا وذاك جاهلة بربها لم تفهم عنه  
حكيمته ، ولذلك قال بن عطاء الله في حكمه : متى  
فتح لك الله باب الفهم في المنع ، عاد المنع هو  
عين العطاء {0 فلا تتهم ربك بل تعرف إليه وافهم  
عنه وألق قيادك بين يديه ، حينذاك تدرك — كما  
في الحكم — متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى  
منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف

عليك ومقبل بوجود لطفه عليك 0  
فربما أعطاك ما تشتهيهِ النفوس ، فمنعك بذلك  
حضرة القدوس ، وربما أعطاك متعة الدنيا  
وزهرتها ، فمنعك جمال الحضرة وبهجتها ، وربما  
أعطاك إقبال الخلق فمنعك من إقبال الحق ، وربما  
منعك من إقبال الخلق ، فأعطاك الأنس بالملك  
الحق ، وربما أعطاك العلوم وفتح لك مخازن  
الفهوم ، فحجبك بذلك عن شهود المعلوم ومعرفة  
الحي القيوم 0000 وعلى الإجمال إن عرفت ذلك  
فالزم مراد الله وتدبيره وارض به إذ هو الحكيم  
العليم 0

( 22 )

فعاية أهل الود قزقان مَشهد  
لفرد تقدس بالكمال إلى الأبد

يبين شيخنا أن غاية أهل الإحسان وهم أهل الود  
هي شهود وجه مولا هم الحق الفرد المتقدس  
بالكمال جل شأنه لم يقصدوا بطاعتهم سوى رضا  
مولا هم ، لا قصدهم الحور العين ولا الجنان ، بل  
قصدهم وجه الرب الحنان ، وهو إخلاص أهل  
الصدق والإحسان ، وقد وصفهم مولا هم في كتابه

حينما أمر نبيه أن يصبر نفسه معهم فقال جل  
 شأنه { وَأَصْبِرْ تَقْسِكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ  
 بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ  
 عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْغِ مَنْ  
 أَغْلَقْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ  
 قَرْطًا } 0

وفي تفسير قوله تعالى : { يريدون وجهه } ، قال  
 بن عجيبة رحمه الله: بيّن أن دعاءهم وسؤالهم  
 إنما هو رؤيته ولقاؤه، شوقا إليه ومحبة فيه، من  
 غير تعلق بغيره، أو شغل بسواه، بل همتهم الله لا  
 غيره، وإلا - - لَمَا صدق قصر إرادتهم عليه. قال  
 في الإحياء: من يعمل اتقاء من النار خوفاً، أو  
 رغبة في الجنة رجاء، فهو من جملة النيات  
 الصحيحة لأنه ميل إلى الموعود في الآخرة، وإن  
 كان نازلاً - بالإضافة إلى قصد طاعة الله  
 وتعظيمه لذاته ولجلاله، لا لأمر سواه. ثم قال:  
 وقول رويم: الإخلاص: ألا يريد صاحبه عليه  
 عوضاً في الدارين، هو إشارة لإخلاص الصديقين،  
 وهو الإخلاص المطلق، وغيره إخلاص بالإضافة

إلى حظوظ العاجلة0  
— كما قال أبو اليزيد البسطامي: لو أن الله سبحانه  
حجب أهل الجنة عن رؤيته ، لاستغاثوا من الجنة  
كما يستغيث أهل النار من النار0

( 23 )

وَرَقَعَ الْجِدَارَ هُوَ الْمَرْوَّةُ يَا فَتَى  
وَصَنَعُ الْمَكَارِمِ فِي مُحَبِّكَ وَالنَّدِ

يشير شيخنا إلى خلق كريم هو خلق المروءة والإحسان إلى من أحسن إليك ومن أساء إليك ، وقد وضع ذلك الخلق بالإشارة إلى ما فعله الخضر عليه السلام في قصته مع سيدنا موسى حينما مرا على قرية ووجدوا فيها جدار بيت أوشك على السقوط والانهيار فأصلحه ، رغم أنهم طلبوا طعاما من أهل هذه القرية فلم يطعموهم 0

واعلم أخي أن ذلك ليس سهلا " ميسورا ، فإن العدل قد يقتضي أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك ، لكن المروءة وخلق الأنبياء أن تحسن لمن أساء إليك ، كما فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع أهل الطائف حينما دعاهم لعبادة الله وحده وإلى الإسلام ، فأذوه ورموه بالحجارة حتى أدموا قدمه الشريف ، فيرسل الله إليه ملك الجبال ليقول له : إن أمرتني أطبق عليهم الأخشبين أي الجبلين لفعلت ، ولكن رسول الله يأبى ذلك ويعاملهم بالمروءة والرحمة ويقول : لا ، عسى أن يخرج الله من أصلاهم من يوحد الله ، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون 0



واعلم أخي أن المرء إذا ما أسئ إليه وأوذي ،  
قامت عليه نفسه ودعته إلى الإنتصار لها ورد  
الإساءة بالإساءة والانتقام لها ، ويقع فريسة  
لنفسه وهواها وللشياطين ، وهذا شأن أهل الغفلة  
المملوكين في أيدي نفوسهم وشياطينهم  
وأهواءهم ، لكن أهل المروءة والمريد الصادق  
تأبى عليه نفسه المؤمنة الصادقة المطمئنة أن  
تنساق وراء شهواتها والانتصار لها ، بل تدعوه  
نفسه تلك إلى الرحمة والغفران ومقابلة الإساءة  
بالإحسان 0

لذا فإن المروءة ومقابلة الإساءة بالإحسان من  
صفات عباد الرحمن ، ولذلك قال الفضيل بن  
عياض رحمه الله في تفسير قول الله ( وإذا  
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ) : إن جهل عليه  
سلم ، وإن أسئ إليه أحسن ، وإن أحرمت أعطى ،  
وإن قطع وصل 0

وهو من أفضل الفضائل إذ أثر عن النبي الكريـم  
قـوله ( من أفضل الفضائل أن تصل من قطعك  
وتعطي من حرمك وتصفح عن شتمك ) 0

وهو علامة على حسن الخلق ، وإن العبد كما أخبر  
رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ليبلغ بحسن  
خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه  
لضعيف العبادة 0

وقد أحسن من قال:

ازرع جميلا ولو في غير موضعه

فلن يضيع جميل أينما صنع

إن الجميل إذا طال الزمان به

فليس يحصده إلا الذي زرع

خَذَ الْعَقَوَ فِي حُتْلِ السَّمَاحَةِ يَا فَتَى  
تَقْتَحْ لَكَ الْحَضْرَاتِ فَتْحًا بِلا رَدِّ

يرشد الشيخ مريديه إلى التخلق بخلق العفو مع  
السماحة ، لتنهال عليك فتوحات الحضرة  
الربانية 0

{وإذا ما غَضِبُوا هم يغفرون } لم يقل الحق تعالى:  
والذين لم يغضبوا لأن الغضب وصف بشري، لا  
ينفك عنه مخلوق، فالمطلوب المجاهدة في دفعه،  
ورد ما ينشأ عنه، لا زواله من أصله، فعدم وجوده  
في البشر أصلاً " نقص، ولذلك قال الشافعي  
رضي الله عنه: " مَنْ اسْتَغْضِبَ وَلَمْ يَغْضِبْ فَهُوَ  
حِمَارٌ " فالشرف هو كظمه بعد ظهوره، لا زواله  
بالكلية 0

ولعظم هذا الخلق جعل أجره عليه ، إذ يقول  
مولانا { فمن عفا وأصلح فأجره على الله } وعنهما  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( ينادي مناد  
يوم القيامة: من كان له أجر على الله فليقم ، فلا

يقوم إلا من عفا) 0

وقد عاتب المولى سبحانه سيدنا أبى بكر الصديق  
حينما أقسم أن يمنع عن مسطح ما كان يعطيه  
إياه بعد أن خاض في عرض ابنته أم المؤمنين  
السيدة عائشة رضي الله عنها فقال { وَلَا يَأْتِلْ  
أُولُوا الْقَضَلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقَرْبَى  
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا  
وَلِيَصْنَعُوا آلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ  
عَفُورٌ رَحِيمٌ }

في الآية بيانٌ وتأديبُ الله للشيخ والأكابر  
ألاَّ يهجروا صاحب العثرات والزلات، من  
المريدين، ويتخلقوا بخلق الله، حيث يغفر الذنوب  
العظام ولا يبالي، وأعلمهم ألاَّ يَكْفُوا أعطافهم  
عنهم.

{ والعافين عن الناس } لأن الصوفي ماله مباح  
ودمه هدر. وكان بعض الصوفية يقول: إذا أردت  
أن تعرف حال الفقير فأغضبه، وانظر إلى ما  
يخرج منه.

وعن أبى هريرة: أن أبا بكر كان مع النبي صلى

الله عليه وسلم في مجلس، فجاء رجل فوقع في  
أبي بكر، وهو ساكت، والنبي صلى الله عليه وسلم  
يبتسم، ثم ردّ أبو بكر بعض الرد، فغضب عليه  
الصلاة والسلام - وقام، فلحقه أبو بكر، وقال: يا  
رسول الله، شتمني وأنت تبتسم، ثم ردّدت عليه  
بعض ما قال، فغضبت وقمت. قال: " **حين كنت  
ساكتاً كان معك ملكٌ يردُّ عليه، فلما تكلمت وقع  
الشیطان، فلم أكن لأقعد في مقعد فيه الشيطان،  
يا أبا بكر، ثلاث حق: تعلم أنه ليس عبد يظلم  
مظلماً فيعفو عنها إلا أعز الله بها نصره، وليس  
عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله  
قلة، وليس عبد يفتح عطية أو صلة إلا زاده الله  
بها كثرة** ". { } { والله يحب المحسنين } الذين  
أحسنوا فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم وبين  
عباد الله 0

( 25 )

وَفِي كَلْبِ أَهْلِ الْكَهْفِ سِرٌّ بِشَارَةٌ  
بِأَنَّ الْإِسَاءَةَ لَا تَضُرُّ مَعَ الْوَدِّ

ينبه شيخنا كل مريد سالك إلى ضرورة الطاعة مع  
الود ، فطاعة من غير ود صدود ، وإذا ما صدر  
منك ذنب فلا تياسن من عفو ربك ورحمته والجأ  
لربك في ود واسأله أن يتجلى عليك برحمته لا  
بعده ، ولذلك قيل في الحكم العطائية ( لا صغيرة  
إذا قابلك عدله ، ولا كبيرة إذا واجهك فضله )

ولذلك قال سيدي أبوالحسن الشاذلي في بعض دعائه0(واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت ، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك ، والإساءة لا تضر مع الحب منك0)

وفي البيت يشير شيخنا إلى كلب أهل الكهف الذي تداركته رحمة ربك ووده ففاز وصار يعرف بفتية أهل الكهف ، كذلك العاصي تتداركه رحمة ربه ووده فيغمره بواسع رحمته وفضله ، وهو بشرى لكل مريد قد تزل قدمه لا تجزعن ولا تيأسن من رحمة مولاك فربك يختص برحمته من بشاء وهو ذو الفضل العظيم 0

ولك في قصة سيدنا آدم عليه السلام أبلغ دليل على ذلك ، إذ قال ربنا في سورة طه ليعلمنا ذلك { وعصى آدم ربه فغوى 0 ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى } وفي تفسيرها قال بن عجيبة رحمه الله: قال الواسطي: العصيان لا يؤثر في الاجتباءية، وقوله: { وعصى } أي: أظهر خلافاً، ثم أدركته الاجتباءية فأزالت عنه مذمة العصيان، ألا ترى

كيف أظهر عذره بقوله: { فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا  
{ هـ. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله  
عنه: نعمت المعصية أورثت الخلافة. واعلم أن  
آدم عليه السلام قد أهبط إلى الأرض قبل أن  
يخلق، قال تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي  
الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30] فقد  
استخلفه قبل أن يخلقه، لكن حكمته اقتضت  
وجود الأسباب، فكان أكله سببًا في نزوله للخلافة  
والرسالة وعمارة الأرض، فهو نزول حسًا، ورفعة  
معنى، وكذلك زلة العارف تنزله لشرف العبودية،  
فيرتفع قدره عند الله 0

فانظر أخي المسلم كيف عصى آدم ربه ، لكن  
جنايته هذه لم تحط من العناية ، إذ أدركته عناية  
ربه وفضله فتاب عليه وهداه ، ورفعاه من جنة  
الزخارف إلى الخلافة وعمارة الأرض وإلى جنة  
الشهود 00 فحقًا الإساءة لا تضر مع الود  
وانظر كيف الحال مع ابليس اللعين فقد كان  
طاووسًا بين الملائكة ولا يوجد موضع في السماء  
إلا سجد لله فيه سجدة ، ومع ذلك حينما كانت له



مشيئة مع مشيئة الله وحينما تكبر على الله تجلى  
الله عليه بعدله فكان جزاؤه اللعن إلى يوم الدين ،  
فقال له ربه { فاخرج منها فإنك رجيم } وإن عليك  
لعنتي إلى يوم الدين { وقال { لأملأن جهنم منك  
وممن تبعك منهم أجمعين } 0

( 26 )

وَلَا يَكْمُرُ الشُّكْوَى مَعَ الْخَبِّ صَادِقٌ  
وَلَا يَقْهَرُ الْوَسْوَاسُ صَدْرًا بِهِ وَدُ

وهذا هو حال المريد الصادق الذي صدق في  
محبتة لمولاه ، فسلم له نفسه وروحه وما ملك ،  
فحبس لسانه عن الشكوى عند نزول البلاء ،  
وحبس قلبه عن التسخط لقضاء مولاه ، لأن  
المحبة هي إثارك لمولاك على نفسك وروحك  
ومالك وموافقتك له سرا وجهرا ، فالحبيب يفعل  
ما يشاء ، إن شاء وصل ، وإن شاء هجر ، وإن شاء  
أبلى وإن شاء أعطى أو منع ، ولذلك قال الإمام  
الجنيد: المحبة أن تحب ما يحبه المحبوب ولو  
كان فيه الموت 0

فمتى أحب المريد مولاه وعلم أنه لله ، استعذب  
البلوى كالحلوى ، لأنها ممن يحب ويهوى ، فقد  
طابت في محبته البلوى ، ولذلك ما أحسن قول  
القائل:

فما في الهوى شكوى ولو مَزَقَ الحشا  
وعار على العشاق في حبك

الشكوى  
ولذلك لما دخل ذو النون على مريض يعوده ،  
فبينما كان يكلمه أن آتة ، فقال له ذوالنون: ليس

بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه ، فقال  
المريض: بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ  
بضربه 0

لذلك أحسن من قال:

إذا طرقت بابي من الدهر فاقه

فتحت لها باب المسرة والبشر

وقلت لها أهلا وسهلاً مرحباً

فوقتك عندي أحظى من ليلة القدر

كما حكي عن أبي يزيد قوله: منذ عرفت الله -

ما شكوت أحداً قط لعلمي بقيام الله بأحوال

العبيد 0

كذلك فإن مثل هذا الصدر الممتلئ بحب الله لا

يقهره وسواس ولا يدخله سواه ، إذ هو قلب غاب

عن الناس والوسواس في شهود رب الناس ، كما

قال بعضهم:

إن كان للناس وسواس يوسوسهم

فأنت والله وسواسي وخناسي

ولذلك قال الجنيد: المحبة هي أخذة من الله لقلب

عبده عن كل شئ سواه 0

وفي تفسير الرازي: شكا بعض المريدين من كثرة الوسواس، فقال الأستاذ: كنت حداداً عشر سنين، وقصاراً عشرة أخرى، وبواباً عشرة ثالثة، فقالوا: ما رأيناك فعلت ذلك، قال: فعلت ولكنكم ما رأيتم، أما عرفتم أن القلب كالحديد؟ فكنت كالحداد أليته بنار الخوف عشر سنين، ثم بعد ذلك شرعت في غسله عن الأوضار والأقذار عشر سنين، ثم بعد هذه الأحوال جلست على باب حجرة القلب عشرة أخرى سالا سيف «لا إله إلا الله» فلم أزل حتى يخرج منه حب غير الله، ولم أزل حتى يدخل فيه حب الله تعالى، فلما خلت عرصة القلب عن غير الله تعالى وقويت فيه محبة الله سقطت من بحار عالم الجلال قطرة من النور فغرق القلب في تلك القطرة، وفني عن الكل، ولم يبق فيه إلا محض سر((لا إله إلا الله))0

وَمَا لَمْ يَكُنْ مَا تَدَّعِيهِ حَقِيقَةً  
يُطَاقُ مَا تَطْوِيهِ مِتَّ عَلَى ضِدِّ

وهي دعوة من الشيخ للمريدين بأن يطهروا  
ظواهرهم وبواطنهم ، وأن يكون ظواهرهم مجلى  
لما تطويه وبواطنهم ، فمن ادعى الإحسان والولاية  
والصفاء وتظاهر بها ، وباطنه مملوء بالأغيار ، كان  
عند الله مذموماً ويخشى عليه سوء العاقبة ، لذلك  
قال شيخنا في بعض حكمه : من حرر ظاهره  
وباطنه مما سواه ، أقبل إلى ضعفه بعين إحسانه  
ورضاه ، وأنبته نبات العناية واصطفاه ، وتكفله  
بقدراته الذاتية 0

ولعظم ذلك كان العارفون يبتهلون لمولاهم أن  
يصلح ظواهرهم وبواطنهم ، فقد كان سيدي  
مصطفى البكري يقول في بعض دعائه في ورد

السحر:000وأصلح مني يا مولاي ظاهري  
ولبي0إلهي زين ظاهري بامتثال ما أمرتني به  
ونهيتهني عنه ، وزين سري بالأسرار وعن الأغيار  
فصنه 0

ولذلك متى كان ظاهرك طاهراً نقياً كباطنك فاعلم  
أن ذلك من فضل الله عليك وأنت في خير عظيم  
وأنت سائر في معارج الوصول ، لذا قال شيخنا  
في بعض حكمه: متى زين ظاهرك برداء وصفه ،  
وأشرق في باطنك من أنوار قدسه ، فقد دعاك  
لمعارج أنسه ، واستودعك سره الأعظم 0

– أما إن كان ظاهرك وما تدعيه ليس له صدى في  
باطنك ، فهو النفاق بعينه الذين وصفهم الله بقوله  
{ يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً } ،  
وفي تفسيرها قال بن عجيبة رحمه الله:الإشارة:  
كل من أحب أن يرى الناس محاسن أعماله  
وأحواله، ففيه شعبة من النفاق وشعبة من الرياء،  
وعلامة المرائي: تزيين ظاهرة وتخریب باطنه،  
يتزين للناس بحسن أعماله وأحواله، يراقب الناس  
ولا يراقب الله، وكان بعض الحكماء يقول: يقول

الله - تعالى :- " يا مَرَّاثي: أَمْرٌ من ترائى بيد من  
تعصيه " فمثل هذا أعماله كلها قليلة، ولو كثرت  
في الحس كالجبال الرواسي، وأعمال المخلصين  
كلها كثيرة ولو قلت في الحس، وأعمال المرائين  
كلها قليلة ولو كثرت في الحس0  
وقد عاتب الله أقواما قالوا لو نعلم أحب الأعمال  
الله إلى الله لسارعنا إليها ولزمنناها ، فلما نزل  
فرض الجهاد تناقلوا فيه وتقايسوا عن إتيانه ،  
فقال جل جلاله { يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما  
لا تفعلون0 كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا  
تفعلون } ، وقيل نزلت في قوم قالوا إذا لقينا  
العدوا ثبتنا وقاتلناهم قتالا شديدا ، فلما كان  
يوم غزوة أحد ، فر بعضهم ولم يثبتوا مع رسول  
الله حتى شج رأسه الشريف وكسرت ربايعيته  
صلى الله عليه وسلم ، فعاتبهم الله بهذه الآية  
وبين لهم أن من أعظم المقت والبغض أن تقولوا  
ما لا تفعلون ، وذلك لأن من لوازم الإيمان  
الحقيقي الصدق وثبات العزيمة ، لذا بين لنا  
شيخنا في هذا البيت أن يستوي ظاهره وباطنه ،

وأن يكون باطنك مطابقاً لما تظهره من الإيمان 0  
وهو توجيهه أيضاً لكل مرید ألا يدعي حالاً ٠ أو  
مقاماً ليس فيه ، كما هو عتاب لكل مرید عاهد  
شيخه ومن قبله ربه ونبيه أن يجاهد نفسه وهواه  
وجنود إبليس أجمعين ويقاتلهم ويدفعهم عنه ،  
ثم هو لا يفعل بل يترك نفسه فريسة للشياطين  
وأعوانهم ولا يجاهدهم ، فيقول له مولاه لم تقول  
ما لا تفعل 0

( 28 )

تَزْرَعُ عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ تَوْرَعًا  
وَحَلَّ سَبِيلَ الْمَوْبِقَاتِ إِلَى الْأَبَدِ

يخاطب شيخنا كل مرید سالك في الطريق ليبتعد  
عن المال الحرام وأن يبتعد عن الذنوب والموبقات  
دائماً أبداً ، وهذا هو مسلك أهل الإحسان الذين  
وصفهم الله في كتابه بقوله جل جلاله { الذين  
يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم } وهو  
مسلك أهل الإحسان وسار عليه أصحاب رسول



الله صلى الله عليه وسلم ، والقصص في ذلك كثيرة منها ، أن عبد الله بن عمر سار يوماً ومعه بعض إخوانه فلقي راعي غنم فقال ابن عمر للراعي ( بعنا شاة من هذه الغنم ) فقال الراعي إنها ليست لي ، إنها لسيدي ، فقال ابن عمر ( قل لسيدك أكلها الذئب ) فقال الراعي فأين الله ، فبكي ابن عمر وظل يردد فأين الله ، ثم ذهب الي صاحب الغنم وإشترها منه ، وإشترى العبد ، وأعتقه ووهب له الغنم0

وبين لنا شيخنا مزار الحرام وظلماته فقال في كنوز الإشارات : ( من ظلمات أكل الحرام : – المال الحرام له تسع ظلمات : لا يقبل لصاحبه صلوات ، يسوق القلب للشهوات ، يقوي الجرأة على الزلات ، يطمس البصيرة بالغفلات ، يحجب عن فعل الصالحات ، ينزع الأنوار والأسرار والبركات ، يصد عن طريق الأئمة السادات ، يجلب الهم والأمراض والبليات ، يصرف عن الأوراد والآيات ) 0  
ولذلك قال شيخنا في الياقوتة:  
طهر طعامك والشراب من الضنا

ظلم العباد له ظلام عندنا  
وابعد عن الحرمات تصبح عبدنا  
حقاً وإلا سوف تحرم وصلنا  
فعل الحرام فذاك باب صدودنا  
وهو الطريق لفتح ظلام العنا  
بل نبه شيخنا كذلك ليس إلى ترك المال الحرام  
فقط ، بل نبه كذلك إلى الحرص على إطعام  
أولادك من الحلال فقال في الياقوتة:

أطعمهم المال الحلال برزقنا

لا تبتيهم بالحرام فيحرموا بركاتنا

ووضح ذلك شيخنا في دروس كنوز الإشارات  
فقال: (والله ما اجتترأت النفوس على الآثام إلا بعد  
أكل الحرام، وما نزلت البلايا والأحوال إلا بعد ترك  
الورع في جمع الأموال ، وما انصدت الناس عن  
الصراط المستقيم ، إلا بعد التعدي على مال  
ال-ي-ت-ي-م ، وما فسدت القلوب إلا بما سكن

الجيوب0لعلك تكون قد فهمت قول الحبيب عليه السلام لسيدنا سعد : أطب مطعمك تكن مستجاب الدعاء ، فلا تتعب نفسك في معرفة الأسم الأعظم ، لكن جاهدنا ان تطيب المطعم ، وساعتها يستجاب لأمانيك

قبل دعاويك ، ويستجاب لأمالك قبل أقوالك0فبقدر ما تكن له مجيباً يكن لك مجيباً ، فربك يقول ((فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون))0كما أكد شيخنا على ذلك في بعض حكمه فقال (من عصم بطنه عن أكل الحرام ، عصم الله بطنه من ظلمة الآثام)0

فيا أيها المريـد إياك وأكل الحرام ، واجعل بينك وبين الحرام وشبهاته سداً منيعاً ، لأنه ظلمة عظيمة ، لأن من عرف أن الله يشهد حاله فكيف بالحرام يملأ بطنه ، بل كيف بالوصال يطعم ، فإن أهل الوصال حالهم كما قال الشيخ :

وكذا الطعام تورعوا بحلالنا

خلوا بواطنهم وباتوا عندنا

— كان يوسف بن أسباط رحمه الله يقول: إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء قال : دعوه يتعب ويجهتد فقد كفاكم نفسه ، إن اجتهداه مع أكل الحرام لا ينفعه 0

وكان أسياننا يعلموننا ذلك ويقولون لنا: أطب مطعمك ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار0

— وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : إنكم لتغفلون عن الورع وهو أفضل العبادات ، لو يعلم أكلُ الحرام ما يحدث في قلبه من الظلمة والقساوة وفتور الجوارح لطوى الأيام والليالي جوعاً ، لأن العمل الصالح ينشأ عن أكل الطيبات 0 — وذلك لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، أما قال ربنا في محكم كتابه ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ) 0

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد : ( يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ) 0 ومن اجتهد وجاهد في البعد عن الحرام عصمه

الله عن الحرام ، وهذا هو الحارث المحاسبي  
رحمه الله ، كان إذا مد يده إلى طعام فيه  
شبهة ، ضرب على رأس أصبعه عزقاً ، فيعلم  
أنه حرام 0

وفي جرأة المريد على فعل المعاصي والموبقات  
وقبوله المال الحرام دليل على وجود خلل في  
سلوكه وفي عبوديته ، لذلك يخاطبه شيخنا في  
الياقوتة بقوله:

أنى تكون عليك نظرة وصلنا  
والروح في سجن المعاصي واهنا  
عين تعامت عن مبین حضورنا  
هیهات أن تشهد منازل قدسنا  
بل هو دليل على غفلته وعدم مراقبته لمولاه ، إذ  
كيف يكون مراقباً لمولاه ويعلم أن الله حاضره  
كيف يعصاه ويتجراً على فعل الموبقات والآثام  
والسعي للمال الحرام ، ولذلك قال شيخنا:  
وإذا خلوت بظلمة صن عهدنا  
إن الرقيب يراك فاشهد وجودنا

من عرف أن الله يشهد حالنا  
كيف المآثم بالصحائف يلقنا  
راقب معيتنا نراك بعيننا  
وعن القبيح فغض طرفك وارضنا

( 29 )

فليس كريمَ الذكرَ مَا زَادَ وَزْدُهُ  
ولكنَ وَزْدَ العَارِفِينَ هُوَ الْوَدُّ

يوضح شيخنا في هذا البيت مبدأ عظيماً من مبادئ السير لرب العالمين ، وهو الود لله رب العالمين ، فبين أن الكريم لا يعرف بكثرة أوراده وذكره وطاعته ، بل بمقدار وده لمولاه وخالقه 0 ذلك أن المرید الصادق العارف بربه إنما هو عبدٌ ملأ حب الله ووده قلبه وكيانه ، وقد تمكن ذلك الود من شغاف قلبه ، فظهرت آثار ذلك على جوارحه ، فتراه مجداً في طاعته ، يذكره دائماً ويأنس بذكره ، لا يغفل عن ذكره إما بلسانه أو بقلبه أو بسرّه أو بكله ، فكله بربه مشغول ، لأنه كما قيل من أحب شيئاً أكثر ذكره 0

وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال  
أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ ! أما والله إني  
لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر  
وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي  
فليس مني 0 ( متفق عليه ) وهذا الحديث له  
دلالات عديدة منها الاقتصاد في العبادة والسير  
على نهج المصطفى وهدية 0000 ومنها أن العمل  
الكثير من ذكر وصوم وصدقة وغيرها إن خلت عن  
الود فهي ناقصة غير كاملة ، إذ لا بد معها من الود  
، وإذا صحب الذكر الود كان أكملًا ، فالنبي عليه  
الصلاة والسلام لا ينهانا عن بلوغ الكمال في الطاعة  
والعبادة ، ولكن يوضح إلى أن الكمال في الطاعة  
هو ما كانت دائمة ، ولذلك ورد في الأثر أن خير  
الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ، وديمومية  
الطاعة والذكر لا تتأتى إلا إن كانت نابعة عن ود  
وحب ، وإلا أصابت صاحبة بعد مدة بالفتور  
والممل ، وهذا يتنافى مع من يذكر مولاه ويطيعه  
عن ود وحب 0



وَمَا دُمْتَ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْوَدِّ قَائِمًا  
فَحَبْلُكَ مَوْصُولٌ وَدَيْتُكَ فِي رَشْدٍ

وهو ينبه هنا على ضرورة الطاعة مع المحبة وهذا فيه الوصال ومنتهى رشدك أيها المريد ، وهو تأكيد لبعض معنى البيت السابق ، فالطاعة والذكر من غير ود لا طائل منها وإن كثرت ، ولذلك قال سيدي أبا المواهب الشاذلي: عبادة المريد مع محبته للدنيا شغل للقلب وتعب للجوارح ، فهي وإن كثرت قليلة عند الله تعالى 0  
00 وكفى بالله ودًا أن ضاعف الأجور للخلق على ما لم يعملوا { والله خلقكم وما تعملون } 0

وَمَنْ رَامَ أَجْرَ الْبِرِّ مَثًا وَلَمْ يَرَى  
فِعَالًا مُرِيدَ ضَيْعَ الْوَرْدِ بِالْعَدَّةِ

وهذا البيت يعالج فيه الشيخ احدى الآفات التي  
تصيب السالكين ، فترى البعض يمن على مولاه  
بما يتلوه من أذكار وأوراد وأعمال صالحات ،  
وعميت بصيرته عن مشاهدة مئة الله عليه أن  
وفقه الله لتلك الأعمال ، فعلى التحقيق الله هو  
الفاعل ، فجل شأنه قد فعل ونسب إليك 0

وعن هذا قال القشيري رحمه الله في تفسير قوله  
تعالى { بل الله يمنٌ عليكم أن هداكم للإيمان } :  
مَنْ لَاحِظُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ فَإِنْ رَأَاهَا مِنْ  
نَفْسِهِ كَانَ شَرَكًا، وَإِنْ رَأَاهَا لِنَفْسِهِ كَانَ مَكْرًا فَكَيْفَ  
يَمُنُ الْعَبْدُ بِمَا هُوَ شَرَكٌ أَوْ بِمَا هُوَ مَكْرٌ؟! وَالَّذِي  
يَجِبُ عَلَيْهِ قَبُولُ الْمُنَّةِ.. كَيْفَ يَرَى لِنَفْسِهِ عَلَى  
غَيْرِهِ مُنَّةٌ؟! هَذَا لِعَمْرِي فَضِيحَةٌ! بَلِ الْمُنَّةُ لِلَّهِ؛ فَهُوَ

وليّ النعمة. ولا تكون المنة منة إلا إذا كان العبدُ صادقاً في حاله، فأما إذا كان معلولاً في صفة من صفاته فهي محنة لصاحبها لا منة<sup>0</sup> والمنة تكدرُ الصنيعَ إذا كانت من المخلوقين، ولكن بالمنة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الله<sup>0</sup>

بل إن الشيخ ابن عجيبة رحمه الله يرى في أن كل مَنْ غلب عليه الجهل حتى مَنْ على شيخه بصحبته له، أو بما أعطاه، يقال في حقه: {يمنون عليك أن أسلموا} <sup>0</sup>

ولذلك قال شيخنا في بعض حكمه : كفى بالذاكر غفلة أن لا يشهد من أجرى الذكر على لسانه { وما يذكرون إلا أن يشاء الله } <sup>0</sup>

كما قال: لو زال عنك وهم خيال أنك فاعل، لسجد فؤادك شكراً وتعظيماً لمن فعل {والله خلقكم وما تعملون}

— بل قال مشايخنا بأن المرید الصادق إن وجد الدنيا بحذافيرها أنفقها ولا يبالي ، وإن لم يجد ما ينفق لا يبالي ، لأن مراده هو مراد مولاه ، وكل ما ينفقه في الطريق إنما هو لله ، لا يقصد بذلك

شهرة ولا ثناء من الخلق ولا غير ذلك ولا من  
شيخه أيضا، إن كان كامل الصدق 0

( 32 )

وَمَا دُمْتَ تَتَّخِذَ الطَّرِيقَ وَسِيلَةً  
لِتَجْمَعَ مَالُ النَّاسِ أَنْبَشِرْ بِالصَّدِّ

كثيرا ما نرى من البعض ممن يسيرون في الطريق  
يتخذونه حرفة يتكسبون منها ويجمعون من  
خلالها الأموال ، وأحيانا لقضاء مصالحهم  
وحاجاتهم هم وذويهم ، ومثل هذا السلوك منبوذ  
ولا يزيد السالك إلا صدودا وبعدا ، ولذلك نبهنا  
شيخنا في هذا البيت لمثل هذه السلوكيات في  
هذا البيت لنحذرها ونتلافها 0

لأن هذا السلوك يتنافى مع شرط الإخلاص ، لكون  
المريد آنذاك لم يقصد من سيره وسلوكه وجه الله  
، بل أراد جمع المال وقضاء بعض مصالحه

وحوائجه ، فيا لتعاسة مثل هذا المريد ، أما وصله  
قول نبينا الكريم ( تعس عبد الدينار ، تعس عبد  
الدرهم ) ويكون المريد بسلوكه هذا على خطر  
عظيم ، واسمع لشيخنا وهو ينبه على ذلك في  
الياقوتة إذ قال:

يا عابد الرحمن فاقصد وجهنا

لا تلتفت للغير تقصد خلقنا

لكن صادقاً بإرادة في حبنا

نطوي الحجاب وتنجلي أسرارنا

إن العبادة لا تنال قبولنا

إلا لعبد خالص ومريدنا

وفي هذا يحكى أن أحد المريدين نزل على زاوية  
شيخه ضيفاً ، فأقراه ثلاثة أيام ثم قال له : يا  
ولدي قد انتهت مدة الضيافة 0 فقال المريد : إنما  
جئت لأتصوف ، فقال الشيخ : ليس التصوف  
عندنا أن تصف قدميك وغيرك يمون لك ، ولكن  
ابداً برغيفيك فأحرزهما ، ثم تصوف ، ثم اجعل  
منشارك مسبحتك ، واذكر على دقات الفأس  
والمكوك .

— وأكد على ذلك الإمام الحداد فقال : واعلم أنه لا يتعين على الإنسان إذا أراد الدخول في طريق الله أن يخرج من ماله إن كان له مال أو يترك حرفته وتجارته إن كان محترفاً أو متجراً ، بل الذي يتعين عليه تقوى الله فيما هو فيه والإجمال في الطلب بحيث لا يترك فريضة ولا نافلة ، ولا يقع في مُحَرَّم ولا فضول لا تصلح الاستعانة به في طريق الله 0

( 33 )

فَخَذَ سَلْمَ التَّسْلِيمِ مَغْرَاجُ وَصَلْنَا  
وَسَبَّحْ لِرَبِّكَ بِالْوُدَادِ مَعَ الزَّهْدِ

يبين الشيخ أن سير المريد ووصاله بالله أساسها ومدارها على التسليم الكامل لله ، القائم على تنزيه الله بالحب والوداد ، المتمثل في تخلية القلب مما سواه 0  
وانظر كيف بين لنا مولانا أفضل الناس وأحسنهم

فقال جل جلاله { ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن }، أي لا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ، أي أسلم ذاته وحقيقته بالكلية لعلمه أن { كل شئ هالك إلا وجهه } 0

ثم انظر كيف زكى الله خليله إبراهيم عليه السلام فقال جل شأنه { إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين } فقد سارع الخليل معلناً لربه أنه مستسلم لله رب العالمين ، أي مستسلم لحكمه منقاد إليه بكليته متبرئاً من حوله وقوته ، لذلك قال سهل بن عبدالله : كانت ملة إبراهيم السخاء ، وحاله التبري من كل شئ سوى الله 0

لذلك قال بن عجيبة في تفسيره: فلا يكمل إيمان العبد حتى لا يجد في نفسه حرجاً من أحكام الله، القهرية والتكليفية، ويسلم لما يبرز من عنصر القدرة الأزلية، كيفما كان، فقراً أو غنى، ذلاً أو عزاً، منعاً أو عطاء، قبضاً أو بسطاً، مرضاً أو صحة، إلى غير ذلك من اختلاف المقادير. ويرضى بذلك ظاهراً وباطناً، وينسلخ من تدبيره واختياره إلى

اختيار مولاه فهو أعلم بمصالحه، وأرحم به من أمه وأبيه 0

— وانظر كيف عاتب الله نبيه فقال جل شأنه { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا لَا مُمْبِنًا } \* { وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا }

وقال بن عجيبة في تفسيرها : في الآية الأولى حث على التفويض وترك الاختيار، مع ما أمر به الواحد القهار. وفي الحكم: " ما ترك من الجهل شيئاً مَنْ أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهر الله ". فالواجب على العبد أن يكون في الباطن مستسلماً لقهره، وفي الظاهر متمثلاً " لأمره، تابعا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإلماً يُوجب رضاه ومحبته. وفي الآية الثانية تنبيه على أن



خواص الخواص يُعاتبون على ما لا يُعاتب عليه  
الخواص. والخواص، يُعاتبون على ما لا يعاتب  
عليه العوام، فكلما علا المقام، واشتد القرب،  
اشتدت المطالبة بالأدب، ووقع العتاب على أدنى  
ما يخل بشيء من الأدب، على عادة الوزراء مع  
الملك. وذلك أمر معلوم، مذوق عند أهل القلوب<sup>0</sup>  
وقال النصر آبادي: سلامة النفس في التسليم  
وبلاؤها في التدبير<sup>0</sup>

كما قال سيدي عبدالقادر الجيلاني في كتابه  
فتوح الغيب: لا تختَر جلب النعماء ولا دفع البلوى  
، فالنعماء واصله إليك إن كانت قسمك استجلبتها  
أو كرهتها ، والبلوى حالة بك إن كانت قسمك  
مقضية عليك سواء كرهتها أو رفعتها بالدعاء أو  
صبرت وتجلدت لرضا المولى ، بل سلم في الكل ،  
فيفعل الفعل فيك ، فإن كانت النعماء فاشتغل  
بالشكر ، وإن كانت البلوى فاشتغل بالتصبر والصبر  
، أو الموافقة والتنعم بها<sup>0</sup>

— قال بن عجيبة في تفسيره: أهل التوجه  
والرياضة يفرحون بما ينزل بهم، مما يثقل على

نفوسهم، كالفاقات والأزمات، وتسليط الخلق عليهم، وغير ذلك من النوائب لتموت نفوسهم فتحيا قلوبهم وأرواحهم بمعرفة الله، والذين في قلوبهم مرض كالوساوس والخواطر يفرّون من ذلك، وينظرون - حين يرون أمارات ذلك - نظر المغشي عليه من الموت، فالأَوَّلُ وَهُوَ لِي لَهُم الخضوع تحت مجاري الأقدار، والرضا والتسليم لأحكام الواحد القهار 0

— كما قال الحسين بن منصور: من أراد أن يذوق شيئاً من هذه الأحوال فلينزل نفسه إحدى ثلاث منازل: إما أن يكون كما كان في بطن أمه مَدْبَرًا غير مدير مرزوقاً من حيث لا يعلم ، أو كما يكون في قبره ، أو كما يكون في القيامة 0

والتسليم لأبد وأن يصحبه الزهد ، وهو أن تزهد في كل شئ سوى الله ، ولذلك قال بن عجيبة رحمه الله: الزهد هو خلو القلب من التعلق بغير الرب 0

وحصول الزهد في الدنيا والـقـناعة منها، فـيـهـاـ شـرف العبد وكماله، وسبب محبته عند مولاه.

لقوله صلى الله عليه وسلم: "ازهد في الدنيا  
يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك  
الناس".

لأن المريد متى أحب مولاه فرغ قلبه مما سواه ،  
وزهد في الدنيا وكل شئ سوى مولاه ، أصبح  
التسليم حالته ومعراج وصله لله رب العالمين ،  
لذلك قال عامر بن قيس : أحببت الله حبا هَوْنًا  
علي كل مصيبة ورضائي بكل بلية ، فلا أبالي مع  
حبي إياه علام أصبحت وعلام أمسيت0

## المراجع

- 1- القرآن الكريم 0
- 2- السنة النبوية 0
- 3- تفسير القرآن الكريم للفخر الرازي 0
- 4- تفسير البحر المديد لابن عجيبة 0
- 5- الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية للإمام  
محمد بن أحمد البوزيدي 0
- 6- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح لابن عطاء  
الله 0
- 7-

-

## الفهرس

رقم الصفحة ة	الموضوع	الرقم المسلسل ل
		1
		2
		3
		4
		5
		6
		7
		8

		<b>9</b>
		<b>10</b>
		<b>11</b>
		<b>12</b>
		<b>13</b>
		<b>14</b>
		<b>15</b>
		<b>16</b>
		<b>17</b>
		<b>18</b>
		<b>19</b>
		<b>20</b>
		<b>21</b>
		<b>22</b>
		<b>23</b>
		<b>24</b>
		<b>25</b>
		<b>26</b>
		<b>27</b>

		<b>28</b>
		<b>29</b>
		<b>30</b>
		<b>31</b>
		<b>32</b>
		<b>33</b>
		<b>34</b>
		<b>35</b>
		<b>36</b>

